صوت الجيل 24

العدد 24 من الإصدار الجديد 2024
مجلة تُعنى بالإبداع الشبابي
تصدرها وزارة الثقافة الأردنية

وزارة الثقافة

2024

هل لنا أن نتجاهل الجديد؟
جلال برجس

أدب الشباب في الرمثا
سماح وصفي

سيميائية الخطوات الأولى
زينب السعود

شواهد على تاريخ عمان
ديما الرجبي

كاتبان من الجنوب على طاولة صوت الجيل
رمضان الرواشدة وبيان العوضي

في العلاقة بين أدب الشباب والنقد
عبد النبي عبادي

للفنان فرح الهلالات/ الأردن

صوت الجيل 24 Sawtalgeel

العدد 24 من الإصدار الجديد 2024

مجلة تُعنى بالإبداع الشبابي تصدرها وزارة الثقافة الأردنية

رئيس التحرير
جلال برجس

مدير التحرير
محمد المشايخ

سكرتيرة التحرير
فادية نوفل

أعضاء هيئة التحرير
تيسير الشماسين
علي شنينات
جعفر العقيلي

المدقق اللغوي
د. أنس الزيود

الإخراج الفني
يوسف الصرايرة

غلاف العدد

لوحة الغلاف للفنانة: مها يوسف نمر مصطفى/ الأردن

المراسلات باسم مدير التحرير المسؤول للمجلة

E-mail: Sawtalgeel.m@culture.gov.jo

المواد المنشورة في هذا العدد تُعبرّ عن آراء كتّابها ولا تُعبرّ بالضرورة عن رأي المجلة

يمكن تصفح المجلة على موقع الوزارة

www.culture.gov.jo

العنوان البريدي

الأردن - عمان - ص.ب 6140

الرمز البريدي 11118 عمّان

للنشر في مجلة صوت الجيل يُرجى مراعاة ما يلي :

- تُرسل المواد مطبوعة إلكترونيًا مشفوعة بصورة عن الهوية الشخصية، أو جواز سفر لغير الأردنيين، على العنوان البريدي للمجلة.
- أن يكون الكاتب أردني الجنسية فيما يتعلق بالكتابات الإبداعية. أما الدراسات والنقد فلا يشترط ذلك، على أن تتناول الدراسات كتّاباً أردنيين من فئة الشباب.
- أن يكون المشارك من الشباب ضمن الفئة العمرية (18–35) عاماً.
- تقتصر الكتابة الإبداعية النثرية والشعرية على الشباب.
- الدراسات النقدية يمكن للكبار تقديمها بشرط أن تكون متعلقة بإبداعات شبابية، وبالثقافة الشبابية ومؤشراتها.
- أن تقدم المشاركات باللغة العربية الفصحية.
- ألا تتجاوز المادة النصية المقدمة 1200 كلمة.
- تُرسل الصور منفصلة عن المادة النصية في حال وردت في الدراسات النقدية على أن تكون بجودة عالية.
- تحتفظ المجلة بحقها في التصرف بالمواد التي تم نشرها ويشمل الحق في الطباعة الورقية والإلكترونية، ولا يجوز إعادة نشر مواد المجلة دون أذن خطي من هيئة تحرير المجلة.
- يرسل الكاتب اسمه الثلاثي، واسم الشهرة الذي يُعرف به، ورقمه الوطني للكُتّاب الأردنيين.

صوت الجيل
Sawtalgeel

المحتويات

عتبة

- هل لنا أن نتجاهلَ الجديد؟ ..... جلال برجس 4

البوابة الرقمية

- الميتافيرس والرعاية الصّحّيّة..... علي شنينات 7

مصفوفة العدد

أدبُ الشّبابِ في الرّمثا اخضرارُ الكلمةِ، وظِـلُّها الوارف ..... إعداد : سماح وصفي 16
- الرّمثا.. حيثُ وُلدَتْ كلمتي وصارَتْ تحكي قِصّةَ المدينة ..... سماح وصفي 17
- عن الكتابةِ في الرّمثا.. مدينةٌ بينَ ماضٍ عتيق وحاضرٍ عريق ..... عبد الله الزّعبي 21
- حينَ تصيرُ الكلمةُ لحنًا ..... عبد العزيز الذيابات 25
- أثرُ المكانِ على بذرةِ الكتابة ..... جلال الجنايدة 27
- رحلةُ الوجدان.. الكاتبُ بينَ العاطفةِ والإبداع ..... آية فايز داود 29
- أرضٌ خلقَتْ منّا نصوصًا مُتحرّكةً ..... اعتدال درابسة 31

ملتقى الأجيال

- كاتبان من الجنوب على طاولة (صوت الجيل) ..... حوار: بيان مبارك العوضيّ 36

فرد بلدي

- هذه الرّوحُ أرضٌ ..... لطفي الشّابي 46
- نقصٌ حادٌّ بالملامح ..... عزيز عواملة 49
- أماني ..... هدى قاسم

2024

العدد 24 من الإصدار الجديد 2024
مجلة تُعنى بالإبداع الشبابي
تصدرها وزارة الثقافة الأردنية
24

contents

ورد بلدي

- المعطف ..... تبارك الياسين 51
- لم تنتهِ بعدُ ..... معتصم النداف 52
- الزّائرة ..... هدى الأحمد 54
- أنت.. أنت ..... سهير الرمحي 56

58

خرائط البوح

- سيميائيّة الخطواتِ الأولى ..... زينب السعود 62

المختبر

- القِصّةُ القصيرةُ وتحوّلاتُ الجنسِ القصصيّ ..... أنيس الرّافعي 68
- هندسةُ النّصّ الأدبيّ ..... يسري الغول 72
- التّراثُ السّمعيّ والبصريّ.. روايةُ التّاريخِ بالصّوتِ والصّورة ..... أنوار رائد البطوش 76

مراسيل

- توحّشُ الذّائقةِ في العلاقةِ بينَ أدبِ الشّبابِ والنّقد ..... عبد النّبي عبادي 81

نقوش

- شواهدُ على تاريخِ عمّان ..... ديما الرجبي 89

هل لنا أن نتجاهلَ الجديد؟

جلال برجس

هل لي كقارئ وكاتب أمام هذا التّدفّقِ الهائلِ للتكنولوجيا وتكنولوجيا الرقمنة، خاصة ما يتعلّق بالكتب، أن أرفض ما يستجدّ على حياتنا؟ وهل استطاع مَنْ سبقونا أن يقفوا في وجه الراديو والتلفزيون، وكلّ ما تفتّق عن ذهن الإنسان؟ تلك الأدوات التي مثلما أنارت الدَّرب أمامه وسهّلت، ساهمت أيضًا في تفتيت بنية العائلة التي تقوم عليها الحياة بمفهومها الجماعيّ لا الفرديّ.

لا شكَّ أنَّ التكنولوجيا تُسهِّلُ سبل حياتنا، لكنّها من جهة أخرى تجعلها أقلَّ إنسانيّةً، مع ذلك عليَّ أن أستقبلَ هذه الاستحداثات بوعي مَنْ يمسك عصاه من المنتصف، وفي الوقت نفسه أجدني أنتمي إلى أولئك الذين يدفعون بنا للعودة إلى الطبيعة مثل (ميرلو بونتي).

حين أتأمّلُ علاقتي بالكتاب الورقيّ، وبتطوّرات حياتنا، وما سيأتي منها، يصيبني خوفٌ من نوع غريب يرتبط بمصيري الإنسانيّ، لكنّنا أمام واقع لا هرب منه. في هذه الأيام تُعقَدُ مؤتمرات حول علاقة الكتاب الورقيّ بالإلكترونيّ، وتقوم على تساؤلٍ متكرّرٍ مفاده: متى سيصمد القديم قبالة الحديث الذي بالطبع له جذوره؟ حيث تذكر المصادر أنَّ الأمريكي (مايكل ستيرن هارت) هو صاحب الرّيادة في تدشين أول كتاب إلكترونيّ، وذلك عندما كتب عن الاستقلال الأمريكيّ في جهاز كمبيوتر في 4 يوليو 1971، إذ اعتُبِرَت تلك الخطوةُ طريقًا لتأسيسه مشروع (غوتنبرغ)، الذي يُعَدُّ أقدمَ وأكبرَ مكتبة رقميّة ظهرت قبل تأسس الشبكة العنقوديّة.

وانطلاقًا من تلك السنة، وتلك الخطوة نحو رقمنة الورقيّ، ظهر الكتاب الإلكترونيّ في بداية الثمانينيّات من القرن الفائت، وتحديدًا عام 1982م، بشكل يشبه الآلة الحاسبة التي يمكن أن توضع في الجيب. وفي عام 1983 تمكّن مركز الحاسوب عن طريق الاتصال المباشر بتوفير ما لدى دائرة المعارف الأكاديميّة الأمريكيّة بأكملها في الحاسوب الإلكترونيّ، وصار بالإمكان البحث فيها والحصول على المعلومة المطلوبة من بين الـ 48500، مادة متوفرة، وفي عام 2000 أخذ انتشار الكتاب الإلكترونيّ بالصعود إلى أوجه عالميًا.

أمّا في هذه المرحلة، فقد تطوّرت التكنولوجيا بشكل مذهل، ومنها الذكاء الاصطناعيّ الذي بات مؤهلًا -بحسب مَنْ يُروّجون له – للقيام بأدوار هي في الأصل بشريّة، مثل ما أُعلِنَ عنه قبل مدّةٍ من أنَّ (روبوتًا) سيكون قادرًا على كتابة رواية بعد تزويده ببيانات أساسيّة.

أمّا الكتاب الإلكترونيّ فهو جزء من هذه العاصفة التكنولوجيّة، إذ بات في هذه الأيام بصيغه المتعدّدة واقعًا لا يمكن تجاهله، وأصبح هناك من يحمله، إما في هاتفه النقّال أو جهازه اللوحيّ، أو في حاسوبه المتنقّل، بل إنّ هناك من القُرّاء على الصعيد العالميّ مَن اعتمدوه خيارًا وحيدًا للقراءة.

في العالم العربيّ تبدو آثار العاصفة التكنولوجيّة غير متوازية بمثيلتها في الغرب، إذ لم يصل الكتاب الإلكترونيّ إلى ذروة إثبات وجوده كما هو الحال عالميًا، وما تزال العلاقة بالكتاب الورقيّ تأتي من جهة (النوستاليجا)، وتلك الحميميّة التي لا توفّرها الشاشات الإلكترونيّة. لكن ارتفاع أسعار الورق كنتيجة للتبدّلات الاقتصاديّة العالميّة، أخذت تدفع أكثر بخيارات رقمنة الكتب أكثر من ذي قبل، وهناك من بات يخشى من تلاشي النوع الورقيّ منها.

إنّ التقييم الواقعيّ لما يحدث عالميًا للكتاب الورقيّ، وما ينتج عن جهود رقمنة سبل الحياة، لا بدّ أن يأخذنا إلى محاولة الخروج من أزمة مثل هذه، وإنّ الرفض القاطع للرقمنة – وهو مستحيل بالطبع – خيار خاطئ، فهو طوفان يصعب تجاهله، والتسليم الكامل به أيضًا أكثر خطأ وخطورة. إنّ الأمثل في هذا الشأن كما أسلفت – وهو برأيي ما سيحدث — هو أن تكون الحصة مناصفة بين الورقيّ والإلكترونيّ، بين التقنيّ والطبيعيّ، بين ما هو فطريّ، وما هو مستحدث.

كيف للعالَم أن يُسلِّمَ ذخيرته الثقافيّة لعالَم افتراضيّ يمكن أن يتلاشى بين ليلة وضحاها؟ وكيف للإنسان أن يبقى رهينًا لشاشات سرقت نصف بصره، وأضافت له كثيرًا من الأعطاب النفسيّة، وساهمت بتهشيم بنية العائلة، ورسّخت الفرديّة مقابل روح الجماعة؟

هناك مَنْ يرفض الكتاب الإلكترونيّ حتى من جيل القُرّاء الشباب، بل إنّ هذا الطيف الرافض موجود في الغرب، تلك الدول صاحبة السبق في التكنولوجيا ونتائجها. إنّ المسألة إنسانيّة أكثر من كونها وقوفًا في وجه التكنولوجيا، ومرتبطة بما تلقيه هذه التطوّرات التقنيّة على النفس البشريّة من ظلال سلبيّة، إذ يكمن الأمر في تحويل سبل حياة الإنسان ومدّخراته مثل الكتب، إلى مسائل افتراضيّة تُرى ولا تُلمس، ولا يمكن شمّها أو الإحساس بها، وكأنّه تهديد غير مباشر لحواسّه.

كيف لي على الصعيد الشخصيّ أن أتنازل عن رائحة الكتاب وهو يخرج طازجًا من المطبعة، وملمس صفحاته وأنا أُقلّبها، وطعم أوراقه وأنا أستعين بريقي؛ لأتمكّن من تجاوز صفحة إلى أخرى، وإحساسي بالكتاب كشيء يضمّ عالمًا من زاوية الكاتب، إنّ الأمر بالفعل له علاقة بالحواسّ، لا نملك أن نتجاهل التطوّرات التي يشهدها العالم، لكنّنا نملك أن نحافظ على إنسانيّتنا.

01:03:32.500

البوابة
الرقمية

الميتافيرس والرعاية الصّحّيّة

علي شنينات

الميتافيرس والرعاية الصّحّيّة

علي شنينات

قد يكون التّحوّل الظاهريّ نحو الميتافيرس افتراضيًّا، لكنَّ آثاره على الرعاية الصّحّيّة حقيقيّة للغاية، فقد أسّس الواقع المُعزّز، والواقع الافتراضيّ، والواقع المختلط، وسلسلة الكتل والأصول الافتراضيّة، وعوالم التقنيّات الأساسيّة للميتافيرس أساسًا ثابتًا عبر القطاع الصّحّيّ، وتنتشر حالات الاستخدام بسرعة.

قال أكثر من (70%) من المديرين التنفيذيّين في مجال الرعاية الصّحّيّة العالَميّة، الذين شملهم الاستطلاع الذي أجرته مجموعة بوسطن الاستشاريّة مؤخرًا، إنَّ مؤسّساتهم تستخدم تِقنيّة الميتافيرس في بعض القدرات، وليس جميعها، إذ توجد حالات استخدامه في جميع قطاعات الصناعة الرئيسيّة: مقدّمي الخدمات، والمُموّلين، والتكنولوجيا الطبّيّة، والمستحضرات الصيدلانيّة الحيويّة.

تلقّت الشركات الناشئة في مجال الرعاية الصّحّيّة في الميتافيرس تمويلًا بقيمة 32 مليار دولار منذ عام 2017، وتضاعف التمويل ثلاث مرات منذ عام 2020، وينمو الاستثمار بمعدل سنوي قدره (30%)، مع توسّع حالات الاستخدام الحاليّة وظهور حالات جديدة، ونتوقّع أن تظلّ الرعاية الصّحّيّة واحدة من القطاعات الخمسة الأكثر نشاطًا في الميتافيرس، التي تُمثّل (10% إلى 15%) من إجمالي السوق، حيث تقوم معظم شركات ومؤسّسات الرعاية الصّحّيّة على الأقل، بتجربة حالة استخدام واحدة أو أكثر، ولكن أقلّ من (20%) منها قد أنشأت إستراتيجيّة لتوجيه أنشطتها، أو قامت بدمج الميتافيرس في إستراتيجيّة أعمالها الأوسع.

لقد وصفنا مؤخّرًا كيف يفيد الميتافيرس المرضى ومقدّمي الخدمات، من خلال زيادة الوصول، وتحقيق نتائج أفضل، وخفض التكاليف، وتشمل فوائد المرضى إمكانيّة الوصول بشكل أفضل، وخيارات رعاية ميسورة التكلفة، وجودة رعاية أفضل، وتحسين الراحة.

نحن نشهد أيضًا فوائد للشركات في جميع أنحاء القطاع، حيث تُقدّم الشركات الناشئة عروضًا جديدةً إلى السوق، وتُجرّبُ المزيدُ من الشركات حالاتِ استخدام جديدة، وتشمل التعزيزات الماليّة نموًا إجماليًا، وتنويع مصادر الدخل، وانخفاض التكاليف الإداريّة. يُتيح الميتافيرس أيضًا التدخّل في الوقت المناسب، وتحسين المشاركة مع المرضى وأعضاء الخُطّة الصّحّيّة.

من الناحية الإستراتيجيّة يُمكّن التعاملُ مع الميتافيرس الشركات من الارتقاء في منحنى المعرفة التكنولوجيّة؛ من خلال تعلّم كيفيّة استخدام (blockchain)، وتشكيل شراكات تقنيّة جديدة، وتضمين قيمة الابتكار في ثقافتهم، وإظهار قدرتهم على تقديم منتجات أفضل. وتشير أبحاثنا إلى أنَّ التحوّل في مجال الرعاية الصّحّيّة يتطوّر على ثلاث مراحل، ونحن الآن في نهاية المرحلة الأولى، وهي فترة التجريب الأوليّ.

في أحدث استطلاع أجريناه حول نشاط الميتافيرس في مجال الرعاية الصّحّيّة، أفاد (70%) من المشاركين أنَّهم استخدموا تقنيّة الميتافيرس في بعض القدرات، لكن هذا النشاط لم يصبح بعدُ إستراتيجيًا أو مُنظّمًا بشكل خاص، فربع الشركات فقط هي التي تبدأ أو تعمل على توسيع نطاق البرامج التجريبيّة الأوليّة، حيث إنَّ الشركات في أستراليا وأمريكا الشماليّة هي الأكثر نشاطًا، (29%) و28% على التوالي)، تليها الشركات في آسيا (20%)، وأوروبا (17%).

إلى الآن تتمثّل أكبر فوائد التكنولوجيا في تحسين التدريب، وجودة الرعاية، وإشراك العملاء، وتهيمن حالات الاستخدام التي تتضمّن الواقع الافتراضيّ، أو الواقع المُعزّز، أو الواقع المختلط (يشار إليها مجتمعةً باسم الواقع الممتد أو (XR)، خاصة في الاجتماعات والتدريب، وتقديم الرعاية وإدارتها، والإنتاج والتصنيع).

مستقبل الميتافيرس

في المرحلة الثانية (السنوات الخمس المقبلة أو نحو ذلك)، سيتمّ تعريف التّحوّل في مجال الرّعاية الصّحّيّة من خلال التبنّي الأوسع لحالات الاستخدام الحاليّة، وظهور حالات استخدام جديدة مع تقدّم التقنيّات. ستشهد المرحلة الثالثة (العقد التالي) تطوير حالات استخدام أكثر تقدّمًا، وإنشاء تقنيّات ميتافيرس عبر العديد من مجالات الرّعاية الصّحّيّة، وسوف تستمرّ تقنيات XR في لعب الدور الأكبر، خاصة في توفير الرّعاية، مثل رعاية الإعاقة والمُسنّين، ودعم التّجارب السّريريّة.

تقنيات أخرى مثل العوالم المتنقلة (أماكن التجمّع الافتراضيّة للملايين من المستخدمين النشطين)، وسلسلة الكتل، والأصول الافتراضيّة التي تدعمها تقنيات (ويب3) المبتكرة، ستشهد أيضًا استخدامًا على نطاق أوسع، على سبيل المثال يمكن لتقنيّة blockchain تحسين توافر وشفافيّة السجلات الطبّيّة وتبسيط الإدارة، كما يمكن للمرضى ومقدّمي الخدمات والمُموّلين الوصول إلى مصدر واحد للبيانات من أنظمة طبّيّة متعدّدة، والحصول على رؤية شاملة لرعاية المريض، كما يمكن أن تعمل تقنيّة Block-chain على تحسين كفاءة ووضوح معالجة مطالبات التأمين، ويمكن لأنظمة الدفع القائمة على blockchain تسريع المدفوعات والتقديرات.

في مجال البحث والتطوير نتوقّع أن تستخدم وظائف البحث في الشركات والمؤسّسات التعليميّة تقنيّة block-chain ؛ لمشاركة المعلومات بشكل آمن، ومنح الطاقم الطبّيّ التحكّم المباشر في بيانات الاعتماد الخاصة بهم.

وبمرور الوقت نتوقّع أن توفّر مستشفيات وعيادات العالم خدمات الفرز الافتراضيّة، أو حتى خدمات الرعاية الكاملة، وستعمل التوائم الرقميّة في المستشفى على تحسين عمليّة اتّخاذ القرارات التشغيليّة، باستخدام تحليلات السيناريوهات والأسباب الجذريّة، وستكون الصور الرمزيّة للمريض ذي التوأم الجينيّ، قادرة على التنبُّؤ بالاستجابات الصيدلانيّة، وتعتمد سرعة مثل هذه التطوّرات، بطبيعة الحال، على التبنّي الأوسع للتكنولوجيات الأساسيّة.

إنَّ التطوّر المتغيّر إلى الآن متفاوت عبر القطاعات الأربعة للرعاية الصّحّيّة، وهو النمط الذي يبدو من المُرجَّح أن يستمرّ، على الرّغم من التوقّعات المماثلة للمديرين التنفيذيّين في كلّ قطاع، حيث كانت شركات الأدوية هي الأكثر نشاطًا (94%) تستخدم تقنيّات الميتافيرس، في حين إنَّ جميع الشركات في جميع القطاعات، ترى نفس الفوائد الثلاث الأولى: (تحسين التدريب، وتحسين جودة الرّعاية، وتحسين مشاركة المرضى أو العملاء).

نظرًا للتأثير الواضح والمحتمل، فإنَّ معظم الشركات سترغب على الأقل في متابعة التطوّرات عن كثب، وستقوم العديد منها بتجريب حالات الاستخدام بنشاط، مع التركيز على بناء القدرات في المجالات التي تتماشى مع إستراتيجيّة أعمالهم الشاملة. الخطوة الأولى هي فهم محرّكات النمو والعقبات، ونطاق حالات الاستخدام في قطاعك أو مجالك، ونوصي بتوضيح هذا المنظور في وقت مبكر، حيث إنَّ هناك قيمة أعلى محتملة في المشاركة المبكّرة، إذا تحقّق سيناريو النمو المُستهدَف.

ستُمكِّنك المشاركة المُبكّرة أيضًا من البقاء في الطليعة، وإضافة قدرات تنافسيّة عندما يحين الوقت، وإقامة شراكات، وبناء الشبكات، وتجميع البيانات والمواهب قبل المنافسين، وتحديد الموقف الإستراتيجيّ الخاصّ بك على أساس وجهة نظرك المستنيرة. وإلى الآن لم يُشكِّل سوى عدد قليل من الشركات إستراتيجيّةً تحوّليّةً، ولم توضّح أيّ منها طموحاتها للشركاء أو المُستثمرين المُحتملين.

يتخلّف الدافعون ومقدّمو الخدمات عن الأدوية الحيويّة والتكنولوجيا الطبيّة في هذا الصدد، وبما أنَّ المواهب والشراكات والأنظمة البيئيّة ستكون حاسمة لتحقيق النجاح، يجب على الشركات أن تكون واضحةً بشأن ما تنوي تحقيقه، وإيصال هذا الطموح إلى أصحاب المصلحة المحتملين.

سوف يتطلّب المضي قدمًا الاستثمار في المواهب والتكنولوجيا والشراكات اللازمة، وهو ما لا تمتلكه أغلب منظّمات الرّعاية الصّحّيّة الآن، يجب على الشركات تقييم نقاط القوة والضعف لديها في المجالات الرئيسيّة، والقيام بالاستثمارات المناسبة، وبناء العلاقات اللازمة لضمان التنفيذ الناجح، ومن المُرجَّح أن يتطلّب تأمين المواهب إنشاء أدوار جديدة، وتوظيف أشخاص يتمتّعون بمهارات غير مألوفة، مثل مهندسي البرمجيّات ذوي مهارات الواقع المعزّز والواقع الافتراضيّ، ومديري المنتجات، ومصمّمي الخبرة المكانيّة، ومُطوّري سلسلة الكتل، والمتخصّصين في التسويق.

82%

مدينة الرمثا/ الأردن

العدد

أدبُ الشّبابِ في الرّمثا
اخضرارُ الكلمةِ، وظِلُّها الوارف

إعداد: سماح وصفي

- الرّمثا.. حيثُ وُلدَتْ كلمتي وصارَتْ تحكي قِصّةَ المدينة ..... سماح وصفي
- عن الكتابةِ في الرّمثا.. مدينةٌ بينَ ماضٍ عتيق وحاضرٍ عريق ..... عبد الله الزّعبي
- حينَ تصيرُ الكلمةُ لحنًا ..... عبد العزيز الذيابات
- أثرُ المكانِ على بذرةِ الكتابة ..... جلال الجنايدة
- رحلةُ الوجدان.. الكاتبُ بينَ العاطفةِ والإبداع ..... آية فايز داود
- أرضٌ خلقَتْ منّا نصوصًا مُتحرّكةً ..... اعتدال درابسة

مدينة الرمثا/ الأردن

أدبُ الشّبابِ في الرّمثا
اخضرارُ الكلمةِ، وظِـلُّها الوارف

إعداد: سماح وصفي

في هذا العدد من مجلة (صوت الجيل) نستطلع آراء عدد من الشّباب في لواء الرّمثا حول الكتابة ومؤثّراتها، كيف نشأت تلك الموهبة، وكيف هي علاقتهم بمَنْ سبقهم من الكُتّاب والأدباء والفنّانين، وما علاقة ما يكتبون بالمكان كعنصر مهمّ ومؤثّر في بنية الوعي الأدبيّ؟ وكيف هي العلاقة مع العاصمة عمّان كمركز ثقافيّ؟ وهل وسائل التواصل التي أفرزتها ثورة الاتصالات الحديثة، جعلت هؤلاء الكُتّاب يتجاوزن الحدود الأردنيّة ثقافيّاً، ويُطلعون أقرانهم من الكاتبات والكُتّاب العرب على ما ينجزون وما يحلمون بكتابته؟

الرّمثا.. حيثُ وُلدَتْ كلمتي وصارَتْ تحكي قِصّةَ المدينة

سماح وصفي

وُلِدتُ ونشأتُ فيها، وتربّيتُ بين أحضانها... هي أمّي وموطني وأصلي الذي تأصّلَ في ملامحي وشخصيّتي وأفكاري، وكلّ ما أقوم به، وكم أشعرُ بالفخر حينما يقال: «رمثاويّة»، وتحديداً «طرّاويّة». كانت أمّي – رحمها الله – تقول لي دائماً: «مَنْ تخلّى عن أصله فلا أصلَ له». ما جعلني اليوم أكتب مقالتي هذه تحت عنوان «الرمثا حيث وُلدت كلمتي وصارت تحكي قصّة المدينة».

كانت تستيقظ في الصباح على زقزقة العصافير ورائحة خبز التنور، وروائح مناقيش الزعتر والشاي بالنعناع، بالرغم من أنّها كانت تكدّ وتشقى طوال اليوم والليل، ولكن لا تُفوِّت فرصة الاستيقاظ مُبكّراً، فقد كانت مُخلصةً لقاعدة جدّتي التي تقول: «نام بكير واصحى بكير، وشوف الصحة كيف بتصير».

جدّتي عجوز ذات سبعة عقود ونيف، كانت تبلغ من الحكمة ما لا يبلغه أصحاب الشهادات العليا، كانت تُعلّمنا نتاج نسيجها للأمثال والحكم من خيوط التعب والدروس التي أهدتها إيّاها الحياة بعد التعب المُعتّق والمُتجذّر في خريف أيامها الطّوال.

نشأت جدّتي في سهل حوران، وتحديداً منطقة (درعا)، لا تتعجّبوا، فقد كانت الأردن وسوريا كالتوأم الواحد قبل الحدود، منذ زمن قديم كانت النساء تذهب لما يسمّى بـ «الحصيدة»، وجدّتي كانت امرأة كادحة تعمل بجدّ، وتزرع الأرض وتحصدها، وتبيع المحصول كي تربّي أبناءها وتُحسن تعليمهم بعد وفاة زوجها، ونجحت تلك المرأة الأمّيّة التي لا تعرف حرفاً من حروف اللغة العربيّة، في أن تُخرِّجَ للمجتمع أطبّاء ومعلمين ونساء مخضرمات قويّات من خيرة المجتمع.

كانت جملتها المشهورة: «أنا أمّ الدكتور غسان»، ذلك الطبيب الذي كان يدرس على أضواء (لمبة) الشارع كما كانت تزعم، واجتهد مليّاً وحصل على الدرجة الأولى في الثانويّة العامة؛ كي يحصل على بعثة لدولة رومانيا، ويكمل دراسته فيها، وعاد إلى الوطن بدرجة بروفيسور في الطبّ الباطنيّ والجراحة.

كانت تلك المرأة ترسل له المال كي يُكمل تعليمه وتحظى هي بلقب أمّ الدكتور بين نساء القرية، بينما كان لديها خمس بنات وابن آخر في المنزل، عملت على تربيتهم وحسن تعليمهم، أذكر أنّ أمّي أخبرتني أنّ جدّي توفّي وهي في السادسة من عمرها، وقد كانت أصغرهن سنّاً.

كان خالي أستاذاً وشاعراً ومربّياً للأجيال، «المختار حسن الخطيب»، ذاك الرجل الأشقر ذو العينين الخضراوين، ملهمي ومعلّمي الأول، وهو مَنْ كان عوناً لوالدته وساعدها الأيمن، فهو لم يفارقها لحظةً واحدةً، وكان نِعْمَ الأب والأخ والابن البارّ. ذاك الرجل هو بمنزلة أبي الثاني، لطالما كان عوناً وسنداً، فقد كانت أمّي تقول: هذا أخي وأبي، فهي لم تحظَ برعاية والدها لها، ولا أظنّ أنّها كانت تذكره، رحمهم الله جميعاً وأطال في عمر خالي.

كنتُ حينما أجلس معه أغوص في بحرٍ من الحكايات والقصائد والكتب، فهو صديق للكتاب والكتابة، ولديه مكتبة عظيمة تستطيع أن تغرف من بحور علمها ما تشاء، وهي متنوّعة، كيف لا وهو مدرّس للرياضيات، وعاشق للأدب والروايات، ومُلهم للقصص والحكايات، وبالرغم من أنّني لا أحبّ التحدّث عن نفسي كثيراً، لكنّني مضطرة لأن أُطلعكم على زاوية صغيرة أُسلّط فيها الضوء على نفسي.

أنا سماح وصفي علي الرمضان، أمّ ومعلّمة ومربّية أجيال، وكاتبة خواطر أدبيّة، من مواليد الرمثا عام ١٩٩٢، ولدتُ وترعرعتُ في بلدة الطّرّة في مدينة الرّمثا في محافظة إربد شمال المملكة الأردنيّة الهاشميّة، حصلتُ على شهادة الدراسة الثانويّة العامة الفرع الأدبيّ من مدرسة الطرّة الثانويّة الشاملة للبنات عام ٢٠١٠م، وحصلت على شهادة البكالوريوس من جامعة اليرموك في إربد عام ٢٠١٤، تخصص الترجمة، لي العديد من المؤلّفات والنصوص الأدبيّة المنشورة، من ضمنها كتاب خواطر بعنوان (وباحَ الصمت)، الصادر في عام ٢٠٢٣م، وكتاب خواطر بعنوان (ليل وأيل) الصادر عام ٢٠٢٤م.

قارئة نهمة ومهتمّة في مجال الشّعر والأدب، وكتابة الخواطر والنصوص، أعمل معلّمةً في مدرسة واحة النخيل، وإعلاميّة ومذيعة في إذاعة هوا إربد، منذ صغري كنتُ أبحث عن طريقةٍ أشكّلُ بها ما بداخلي من مشاعر ومفاهيم وأفكار، وأرسم من كلّ ذلك لوحةً تنوب عني وعن الكثيرين في التعبير عمّا يدور بداخلهم.

أحببتُ اللغة العربيّة وأتقنتها بكلّ فنونها وجماليّاتها، كنتُ عاشقةً للغة العربيّة قبل أيّ شيء، فبدأتُ في كتابة الجمل الصغيرة على جدران بيتنا وعلى دفاتري، أذكر أنّي كنتُ أدوّنُ أغاني العندليب؛ لما فيها من قصائد جميلة وروعة في المعنى، أحببتُها وأحببتُ سماع كوكب الشرق أيضاً، فقد كانت كلماتهم تحمل مشاعر جيّاشة.

كتبتُ الخواطر والنصائح والنصوص المُعبّرة، وربما النثر حيناً والشعر حينا آخر، وأثّرت بي القراءة كثيراً، فازدحم معجمي اللغويّ، وازددتُ بأساً وصلابةً وقوةً في إبراز ملامح التعبير داخل النصوص، ورسم صور تشبيهيّة كثيرة أضافت إضافاتٍ جميلةً وجذّابةً على كلّ من نصوصي وجملي آنذاك، فقد كان شاعري المفضّل محمود درويش، وغيره من الشعراء، لا سيما المتنبي ونزار قباني.

كنتُ أطمح بأن أكون كاتبةً يوماً ما، وها قد تحقّق جزءٌ كبيرٌ من آمالي وطموحاتي بالعزم والإصرار. عاصرت وأنا صغيرة نشأة الفيسبوك، أول وسائل التواصل الاجتماعيّ ضخامةً، وكان قد فتح لي الباب على مصراعيه لأكتب

وأنشر وأشارك كلّ ما يدور في ذهني، أو كلّ ما أشعر به، وكلّ ما أتقنته في الأيام السابقة، فقدتُ والديّ منذ الصغر، فأصبحتُ مربيةً وأمّاً وأختاً لإخوتي، وكنتُ أُشجّعهم على القراءة كي يرتقوا بها.

في الجامعة كنتُ أقضي وقت فراغي في المكتبة، لا أترك ركناً فيها إلّا أضع فيه بصمةً لي، وأستعير منها كتباً للقراءة، فطالما أحببتُ الكتب والمكتبات، وكان الفضل يعود لزياراتي المتعدّدة لمكتبة خالي العريقة التي ذكرتها سابقاً.

قرأتُ كتباً عديدةً تهتمّ بتعليم أساسيات فنّ التعبير والخواطر والشعر، كنتُ أتعلّم كلّ ذلك بنيّة أنّ الذي بداخلي يجب أن أُعبّر عنه، وأن أُعيد تشكيله ورسمه وتجميله، وأن أنوب في التعبير عن كلّ الناس الذين لا يستطيعون التعبير أو إيجاد نصوص تُعبّر عنهم أو عمّا بداخلهم من أحاسيس ومشاعر.

في بداياتي أتقنتُ فنّ الخاطرة وأحببته، كان ملاذي الآمن للتعبير، تخرّجتُ من الجامعة وتزوّجت، وعملتُ مدرسةً للغة الإنجليزيّة، امتلأت حياتي بالمسؤولية والأطفال والعمل الشاقّ، وعمل البيت والالتزامات، وضيق الوقت، وانعدام الأمل بأن أنجز أيّ إنجاز لي في عالم الكتابة.

مرّت الأعوام والسنوات حوالي ثماني سنوات تحديداً، في عام ٢٠٢٢ قرّرتُ أن أعود إلى عالم الكتابة، مُتجاهلةً كلّ شيء خلفي، ولم أرسم صوب عينايَ سوى النجاح والوصول، وإنجاز كبير عظيم يُمثّلني، واسم يُخلّد اسم والدي — رحمه الله — من بعدي، ذاك الرجل الذي كان يعارض دراسة الفتيات، وهو من أخذني بيده واصطحبني للجامعة بعدما حصلتُ على درجةٍ ممتازةٍ في الثانويّة العامّة، وتميّزتُ على أقراني في العائلة.

ذهب برفقتي إلى الجامعة وهو يقول: «أنا آخذك ع الجامعة بيدي يا سماح، آه يا بنت أبوكي، عملتيها وجبتي تسعين، وحطيتيني تحت الأمر الواقع». لا أنسى أبداً ابتسامته وكلماته التي حُفرت بداخلي، ولا أنسى أنّه أوصاني قبل موته أن أكملَ مسيرتي وأبقى شامخة، ولا آبه لأحد، رحمك الله يا أبتي، وها أنا قد سطّرتُ اسمه ليبقى خالداً من بعدي في الكتب «سماح وصفي».

أنا أوّلُ مَن آمنَ بي من الناس؛ لأنَّ القاعدة تقول: «إنْ لم تؤمن بنفسك أولاً، فمن المستحيل أن تُقنع أحداً أن يؤمن بك أو يدعمك ويسندك». وطلبتُ الدَّعمَ من الله، وسألته التوفيق وسداد الخطى، وتعبتُ كثيراً في محاولة إعادة إنعاش جثّة الكتابة التي قُتِلت غصباً بداخلي، ولكن دون جدوى، حتى جاء السَّندُ من الأصدقاء الثلاثة الذين لا يُحبّذون ذكرهم، وقاموا بدعمي بكلّ الطّرق، وقاموا بإعادة إنعاش معلوماتي الأدبيّة التي كنتُ قد نسيتها منذ زمن.

وفعلاً تحقّقت الأحلام والأماني، وأتى الإنجاز العظيم الذي لاقى الاستحسانَ والحبَّ من كلّ مَنْ قرأ منه، كتاب (وباح الصّمت) الذي صدر عام ٢٠٢٣، أي بعد عام من الصّحوة ومحاولة الرجوع إلى الكتابة، وفي عام ٢٠٢٤ قرّرتُ أن أتوّجَ إنجازي بإنجاز أعظم وأجمل، هو كتابي الثاني (ليل وأيل)، الذي لاقى صدىً واسعاً وتكريماً متعدّداً، وأتى بنمط مختلف عن الذي سبقه.

إصداري للكتابين أحاط بي العديد من الكُتّاب الكبار، وأصبحتُ عضواً في البيت العربيّ الثقافيّ، وقمتُ بالاجتماعات وعقد الدورات التّدريبيّة والمحاضرات، والعديد من التكريمات والنقاشات واللقاءات، وعزّزتُ كتابتي بالنشر في وسائل التواصل الاجتماعيّ كافة، وعملتُ إعلاميّةً ومذيعةً لدى إذاعة (هوا إربد)، وكنتُ لا أفوّتُ وهلةً للتحدّث عن النصوص التي كتبتُها عبر الإذاعة، ولاقت استحسان الكثيرين وإعجابهم.

في بلدتي الرّمثا مجموعة من القرى المتكاتفة المتجاورة، «سهل حوران» كما يطلق عليها، وهي: الطّرّة، والشّجرة، وعمراوة، وذنيبة، كلّ قرية أجمل من الأخرى، كأنّها عنقود

من العنب، في كلّ حبّة لذة وطعم مختلف، وجمالها يجتمع في عنقود واحد، أمّا أنا فبلدتي الطّرّة، التي تمتاز بسهولها الخضراء وبيئتها الخصبة، ترى فيها سنابل القمح على مدّ البصر، ومن جهة أخرى أشجار الزيتون.

لقد ساهمت ثورةُ الاتصالات في مجال الثقافة العربيّة، وأثّرت تأثيراً عميقاً في بنية المجتمعات البشريّة التي تقطنُ في الوطن العربيّ ككلّ، فمع كلّ تطوّرٍ أو اختراعٍ مهمٍّ لتسهيل وتحسين نوعية الثقافة العربيّة، تنتقل من مرحلة حضاريّة إلى أخرى أكثر تطوّراً، وكلّ ذلك كان له دور إيجابيّ؛ ليعطي حالةَ تجدّدٍ وإنشاءٍ لجيلٍ جديدٍ من المثقّفين والكُتّاب والأدباء والفنّانين في كلّ المجالات.

وفي الرّمثا التي هي جزء لا يتجزّأ من عالمنا العربيّ، ظهر فيها العديد من المثقّفين والفنّانين البارعين، والكُتّاب الفاعلين المُجدّدين لأنماط السّرد والكتابة والشعر. إنَّ أول ما ينتجه الفرد من حصاد أفكاره يودّ لو يطير به إلى فضاء الثقافة، ويوصله لأكبر عدد من الناس، ويودّ أيضاً لو أنَّ جميع الناس ترى هذه البذور التي نبتت لتكبر.

هناك الكثير من الكُتّاب الذين سبقونا من أبناء محافظتنا الأمّ، فالرّمثا مدينة تابعة لمحافظة إربد، وكانوا الحافز للاستمرار في هذا الطّريق، والشّعلة التي أنارته، ولولا تاريخ الكُتّاب من هذه المحافظة العريقة، لما التفت أحدٌ إليها، ولولا بصماتهم الكبيرة، لما أصبحت إربد عروس الشمال ذات يوم مدينةً للثقافة الأردنيّة؛ لما فيها من زخم الثقافات والآداب والمثقّفين.

لوحة الفنان فراس الرواشدة/ الأردن

لكن ما زالت هناك العديد من التّحدّيات التي تواجه الكُتّاب والفنّانين، والأدباء والمثقّفين، من ضمنها ندرة المحاضرات الثقافيّة والفعاليّات التي تهتمّ بالكُتّاب الناشئين، وضعف الدّعم المادّيّ والمعنويّ لكلّ ذي موهبة أدبيّة، وبُعدُ الرّمثا -كغيرها -عن العاصمة والمراكز الثقافيّة المهمّة على الصعيد المحلّيّ والعالميّ.

في النهاية مَنْ يُرِدْ يستطعْ، ومَنْ يرنُ أن يصل إلى النجوم، يَجِبْ أن يُحاربَ ليصلَ رغم كلّ الصّعوبات، والممرّات الخانقة الضيّقة، والظّروف العصيبة.

خزفية للفنان حازم الزعبي / الأردن

عن الكتابةِ في الرّمثا..
مدينةٌ بينَ ماضٍ عتيق وحاضرٍ عريق

عبد الله الزّعبي

لعلّ الحديثَ عن تأثيرِ مكانٍ جغرافيٍّ متواضعٍ في النّصّ الأدبيّ الناتج عنه، يحتاج كتابًا يُعنى بذلك المكان وأثره، فكيف بنا إذا تحدّثنا عن مكان غير متواضع بتأثيره على النّصّ الأدبيّ المُتمثّل بطبيعته الخلّابة، وتاريخه العريق، وتجديده الثقافيّ، ومكانته في محيطه؟! بالتأكيد سيحتاج إلى كثير من الكلام.

هذا هو الأمر إذا أردنا أن نتحدّثَ عن تأثير الرمثا جغرافيًا وتاريخيًا، وثقافيًا واجتماعيًا في النّصّ الأدبيّ، فلا ينبغي لك أن تسألني عن تأثيرها في النّصّ الأدبيّ وفي نفس الأديب؛ لأنَّ الحديث عن جنّة تتوسّط منطقة حوران سيطول كثيرًا، فقبل الحديث عن ذات الجنة، عليك أن تتحدّث عمّا يُحيطها، أي المنطقة التي تقع فيها الجنّة، فـ(حوران) كما عُرِفَت عند العرب، أو (حوريم) التي تعني في الآرامية «بلد الكهوف»، كما اعتاد أن يهتف أبناؤها في شعرهم النبطي: «حوران حوران جنّه.. بسهولها والهضابِ».

ويكفي أن نقول إنّها كانت تسمى «إهراء روما»؛ أي المنطقة التي كانت تُغذّي أوروبا بالقمح؛ لخصوبة تربتها، وطقسها المتناسق مع فصول السّنة الميلاديّة الأربعة، ولا شكَّ أنَّ ما ذكرناه كفيلٌ بأن يجعل البقعةَ هذه في الأرض خصبةً لخلق أدباء فحول بقدر خصوبة تربتها.

تُعَدّ الرّمثا جنّة من جنّات حوران، ولا شكَّ أنَّ لكلّ جنّة تاريخ وحكاية خاصة بها، إذ إنَّ لها في كلّ عصر ذكر، خصوصًا في العصور الإسلاميّة، إذ كان منها علماء أجلّاء، ونكتفي بذكر بعض الأعلام لهذه المنطقة العريقة، إذ إنَّ منها العالم الجليل عبد الله بن خليل بن فرج بن سعيد الرّمثاويّ، الفقيه الحافظ المولود في الرّمثا في الفترة المملوكيّة، كان عالمًا في اللّغة والفقه، وأستاذًا في علم الكلام، أخذ عنه الإمام البقاعي، هذا الإمام الذي قد أثّرَ في اسمُه ورسمُه، فصرتُ في فترةٍ من الزّمان متأثّرًا بالتكلّف اللغويّ المُتمثّل في المُحسّنات البديعيّة في الكتابة الأدبيّة، حالي حال أهل عصر الإرهاصات لأدبنا العربيّ الحديث، ممّن يُحبّون فنّ البديع وأثره على النّصّ.

ما زلتُ أشتمُّ شيئًا! إنّها أنفاسُ الولي الصالح المجاهد الشيخ إرشيد بن إبراهيم بن مصطفى الزّعبي الجيلاني الحسني الهاشمي، ويُعَدّ وإخوته أوّل مَن أسّس لمدينة الرمثا المعاصرة، فقد كان صديقًا ورفيقًا لوالي عكّا الشهير أحمد باشا الجزّار، ولأنَّ الشيخ إرشيد شارك معه في معاركه ضد نابليون بونابرت، فما كان من الجزّار الذي كان يحكم أجزاءً كبيرةً من بلاد الشام، إلّا أن كافأه بأن بنى أول مسجد في الرمثا لأهل «خِرْبَة اِرْمَيْث» (الرمثا حاليًا)، وطلب منه الشيخ أن يبنيَ أيضًا بركة المحاسي؛ لمعاناة نساء الرّمثا في نقل الماء، فما كان منه إلّا أن فعل ذلك طامعًا ببركة الشيخ ودعائه.

وبعد أن توفي الشيخ – رحمه الله – وصل نبأ وفاته إلى الجزّار، الذي حزن حزنًا شديدًا، وأمر ببناء مقام لهذا المجاهد الزّاهد، هذا المقام الذي ما زال موجودًا وشاهدًا على تلك الأحداث إلى يومنا هذا، وما زال يحكي لي أخبار ثلاثة قرون مضت أو يزيد.

إنَّ ما قام به الجزّار على شرف الشيخ إرشيد، قد جعل الرمثا محطّةً لطريق الحجّ الشاميّ، فاتصل أهل الرمثا بأدباء مناطق بلاد الشام كلّها، الأمر الذي قد وسّع آفاق الإنسان الرّمثاويّ من الناحية التّجاريّة والأدبيّة، وهذا انعكس على أبناء هذه المدينة في قرون وعقود لاحقة لنا عندها وقفة خاطفة، وساهم هذا في ازدهارها، وجعلها تتصدر المشهدين السّياسيّ والاجتماعيّ في حوران، فظهر لدينا زعماء وقادة صنعوا التاريخ الحديث لهذه المنطقة، ما جعل الخطابةَ والشّعرَ واجهة هذه السياسة.

ومنها الحوارية الشهيرة التي دارت على سبيل المحبّة بين الملك المؤسس عبد الله الأول بن الشريف الحسين الهاشميّ – طيب الله ثراهما – وقبيلة الزّعبيّة الجيلانيّة الحسنيّة الهاشميّة، بخصوص الشيخ القاضي ناصر الطلاق الزعبي الجيلاني، الذي كان شيخًا عظيمًا، أثّر بشكل عظيم في تاريخ الأدب الرّمثاويّ، وحرّك سجايا الشّعراء لرثائه، وممّن رثاه الشاعر مصطفى السّكران.

إنَّ على رأس هؤلاء القادة الزعيم الشّيخ فواز باشا بركات الزّعبي الجيلاني، شيخ قبيلة آل الزعبي الجيلانيّة الحسنيّة الهاشميّة، وشيخ مشايخ الرمثا، وأحد أبرز شيوخ حوران، وعندما نذكر هذا الاسم فنحن بذلك نذكر تاريخًا حافلًا يصعب الإحاطة به، إذ شكّل نقطة تحوّل في تاريخ المنطقة، بداية من العلاقة الطيّبة بينه وبين السّلطان العثمانيّ، إلى الثورة العربيّة الكبرى على حزب الاتّحاد والتّرقّي الذي أطاح بالسّلطان العثمانيّ، إلى تأسيس إمارة شرق الأردن، وعلاقته الطيّبة بالملك المؤسّس عبد الله الأول، وضبطه لمنطقة حوران بمساعدة الشيخ سلطان باشا الأطرش، وخصوصًا بعد الحرب التي نشبت بين بني معروف والمقدادية والشركس، ولا يسعنا الحديث عن تاريخ هذا الزعيم البطل في هذا المقال.

ولا نغفل عن الجانب المعماريّ في هذه المنطقة، وعن منشآتها الرئيسيّة التي جعلت منها منطقةً مرموقةً لسكّانها، تُقبِلُ إليها مختلف الأسر والعائلات، فمن منشآتها (بلدية الرّمثا) التي أسّسها الشيخ عزام البركات الزعبي عام ١٩٢٧م، ولا ننسى الجانب الرّياضيّ المتمثّل بنادي الرمثا الرياضيّ لكرة القدم، الذي يُعَدّ مَعْلمًا عريقًا، إذ إنَّ الرّمثا تُعَدّ الأولى في الأردن قاطبةً في ولادة اللاعبين، فلا تدخل أيّ زُقاق في هذه المدينة إلّا وفيه كرة لا تهدأ بين أقدام الصبيان.

هذا النادي العريق الذي أسّسه زيد الفواز الزّعبي برفقة مجموعة من رجالات الرّمثا، له خصيصة لم يحظَ بها أيُّ نادٍ رياضيّ، إذ يُعَدّ رئيسه السابق عبد الحليم سماره الزّعبي أقدم رئيس نادٍ رياضيّ في العالم، هذه الخصيصة التي لم تحزها أكبر أندية العالم الرّياضيّة كبرشلونة وريال مدريد وغيرها، قد حازها هذا النادي الذي يُعَدّ قطبًا من أقطاب الكرة الأردنيّة.

أتذكرُ حين قلتُ لك إنَّ لنا وقفة خاطفة عن انعكاس أثر جَعْل الرمثا منطقة مؤثّرة على طريق الحجّ الشاميّ على أبنائها في عقود وقرون لاحقة؟ نعم، فكأنَّ التجارة أصبحت منذ ذلك الحين فنًّا يلعب به الرّماثنة كلعبهم بالكرة، حيث نجد أنّهم أوّل مَنْ أدخل الكحل على مستوى العالم إلى أوروبا، وتحديدًا إلى ألمانيا بعد الحرب العالميّة الثانية، في وقت لم يجرؤ فيه أغلب تجّار العالم على الدخول إليها؛ لخروجها من حرب طاحنة ضروس، ولأنَّ آثار النازية لم تكن قد انتهت تمامًا داخل ألمانيا، فكان أبناء الرمثا هم اليد السّبّاقة لإعمار ألمانيا، ومقابل ذلك جلبوا من ألمانيا ما يُسمّى بِـ(البشكير الألمانيّ)، الذي أصبح رمزًا يرفعه كلّ رمثاويّ ورمثاويّة في مناسباتهم، من التّخرّج في الجامعات، وصولًا إلى حفلات زفافهم.

هذا الرّمز الذي صارت المرأة الرّمثاويّة ترتديه على رأسها مباهاةً بثمنه الباهظ، أصبح رمزًا عريقًا يُميّز المرأة الرمثاوية عن كلّ نساء العالم، هذا الرمز الذي أصبح جُلّ شعراء الرّمثا لا ينطقون قصائدهم ولا أدبهم إلّا بارتدائه وتوشّحه، وتجاوز ذلك لينعكس هذا الإرث التّاريخيّ الرّمثاويّ في التجارة على العقود التي تلت السّتينيّات والسّبعينيّات من القرن الماضي.

فنجد الرّماثنة ملوك النقل والشّحن على خطّي سوريا والعراق، إذ إنَّ لواء الرمثا يُعَدّ منطقة حدوديّة مع محافظة درعا السوريّة، كما تربطه علاقات مصاهرة ونسب وثيقة تاريخيًّا مع منطقة درعا، وهذا طبيعيّ لكونهما (الرّمثا ودرعا) منطقتين متقاربتين، فكلاهما جزء لا يتجزّأ من حوران، بل إنَّ الرمثا كانت تضمّ سابقًا – بالإضافة إلى قراها الحاليّة – قريتين تابعتين لدرعا حاليًّا، كان يطلق على هذه القرى «سبع قرايا رماثنة»، وهي: الرّمثا، والطّرّة، والشّجرة، وعمراوة، والذنيبة، وطفس، واليادودة.

ويتجاوز الأمر ذلك إلى الارتباط في العادات والتقاليد التي لا تتواجد في أيّ منطقة في العالم إلّا في سهل حوران (الرّمثا ودرعا وقراهما)، كتقديم الحلوى المُحاطة بالحمص والفيصليّة عند النّفاس، وتقديم الطّعام في صباحيّة العرس في ما يُسمّى بالـ(صُبْحَة)، فيحضر كلّ الأقارب، وحتى الأكلات الشعبيّة، إذ يختصّ أهل حوران ببعض الأطعمة والأكلات الشّعبيّة التي لا تتواجد إلّا فيها كالـ(كباب)، والـ(مكمورة)، وغيرها.

ولم تكتفِ الرّمثا بكلّ ما ذكرت، فكانت منجم الفنون الشّعبيّة الأردنيّة، إذ إنّها تُعَدّ البوّابة الشماليّة للمملكة الأردنيّة الهاشميّة، فهي أول مَنْ أدخل رقصة الدبكة بطريقتها الشعبيّة الحورانيّة إلى الأردن، ولهذا يُعرَفُ أبناء هذه المنطقة بأنّهم أمهر مَن يقومون بهذا الفنّ (فنّ الدبكة) على الإطلاق، فلا تكاد تجد فرقة فلكوريّة استعراضيّة في الأردن تخلوا من شابّ رمثاويّ يكون أحد نجومها.

وتحتلّ الرّمثا المركز الأول في تصدير المطربين الشعبيّين على مستوى المملكة، فنشأت القصائد الغنائيّة، ولعلّ جغرافيّة الرّمثا ومعالمها قد ساهمت في جعلها على ما

كانت وما صارت عليه، فالرّمثا ذات أرض سهليّة زراعيّة بامتياز، وتُعَدّ الشّلالة خير الآثار الطبيعيّة، حيث إنَّ فيها نبعَ ماءٍ في كهف يمتدّ، ولا يُعرف آخره لشدّة طوله، وقيل إنّه ينبع من نفق حلف الديكابولس (نفق اليرموك)، الذي يُعَدّ أطول نفق في العالم، ويبلغ طوله ١٧٠ كم، بطول داخلي يُقدّر بـ٣ أمتار، وعرض يُقدّر بمترين.

ومع التّطوّر التكنولوجيّ والرّقميّ، وتوافر الإنترنت خلال العقدين الحاليّ والماضي، الذي ساهم بالاطّلاع على الآداب المختلفة المقارنة، العربيّة وغير العربيّة كالأدب الروسيّ، وما أنتجته الحداثة من تيّارات فكريّة مختلفة، وخصوصًا على الصعيد الشبابيّ، نجد اليوم رمثانا تعُجُّ بالحماس الشبابيّ الذي ينتظر اللحظة المناسبة لسطوع نجمه في سماء الأدب، خصوصًا مع نظرة سيد البلاد جلالة الملك عبد الله الثاني -حفظه الله - التي ترنو إلى إشراك الشّباب في العمليّة السّياسيّة، من خلال التشجيع على الأحزاب، والنظرة التقدميّة في شتّى المجالات، ومنها الثّقافيّة، وإنَّ البعد عن العاصمة لا يؤثّر بالمسيرة الثقافيّة في الرّمثا قيد أنملة، فالرمثا بحد ذاتها عاصمة ثقافيّة.

ما ذكرته ليس إلّا غيضًا من فيض، وعلى سبيل الذّكر لا الحصر ممّا يحتويه هذا اللواء، الذي فيه ما لا يسعنا ذكره، وما ذكرتُ إلّا نزرًا قليلًا مقصرًا على شهائر الشّهائر، فهنالك كَمّ هائل يصعب أن نحصره في مقالنا هذا، ولك أن تتخيّل انعكاس ما ذكرناه على النّصّ الأدبيّ والأديب الرّمثاويّ، فمن التجارة استطاع الرّمثاة الاتصال بأدباء العراق وأدباء سوريا.

لوحة الفنان محمود أسعد/ الأردن

كما شارك العديد من شعراء الرّمثا وأدبائها وعلمائها المعاصرين في مختلف الأنشطة العربيّة الأدبيّة والثقافيّة على مستوى الوطن العربيّ، فقد كان لموقع الرّمثا الحدوديّ الذي جعلها متّصلة ببيئة الأدب الشاميّ وطبيعتها الجغرافيّة، التي لها القدر العظيم من صقل ذوق الأديب الرّمثاويّ وتاريخها العريق، وما يتذاكره الرّماثنة من الهجيني (شعر موزون على بحر الهجيني النبطي)، الذي كانت تُغنّيه جدّاتنا، الأثر الكبير في كثير من أدباء الرّمثا ومثقّفيها ومبدعيها، وجعلهم متّصلين على الدوام بالتجمّعات الثقافيّة والأدبيّة.

لوحة الفنان ابراهيم العرود/ الأردن

حينَ تصيرُ الكلمةُ لحنًا

عبد العزيز الذيابات

الصّوتُ المُنبَعِثُ مِن ألحانِ الحُبِّ، تلكَ الألحانُ التي تبدأُ في وصفِ حالةِ العُشّاقِ بحزن، وينتصفُها فرحٌ عارمٌ، وتُختَتَمُ ببسمةٍ على شفاهِ كُلِّ مَن اشتركَ في هذه الملحمة، يصطفّ معها الشّبابُ، يَشبِكُ كُلُّ واحدٍ منهم يدَهُ بيدِ الآخرِ، ويترنّمونَ على تلكَ الألحان، وما إنْ يبدأ المُغنّي بتوزينِ ألحانه مع نغماتِ (المجوز)، حتى تدبّ طاقةٌ رهيبةٌ في المكانِ، ينطلقُ معها فنٌّ من فنون مدينتي.

يتسارعُ بعدها اللّحنُ حتى كأنّك ترى صفًا لا عِوَجَ فيه يستعدُّ لأمرِ جللٍ، يُؤدّي حركاتٍ بانتظام، نُسمّيها «الدّبكة»، يُشاركُ فيها الصغير والكبير، الغريبُ بيد الصّديق، والصّديقُ بيد الصّديق، تلكَ الكلماتُ مع الألحانِ دائمًا ما كنتُ أتمعّنُ فيها، وأرى فيها حزنًا خفيًا مُغلّفًا بستارِ الفرحِ، أو وصفًا لامرأةٍ خياليّةٍ كانَ شاعرُ هذه الكلماتِ يحترقُ شوقًا للقائِها، فتارةً يُشبّهُها بالأرض، وتارةً بالسّماء، وربما وصفَ تنّورَه والبَيدر، وفرقعةَ النّار وموسمَ الحصاد.

وعلى هذه الحالة تجري على ألسنة النّاس، وتُصبحُ من عاداتهم في الأفراح وفي ساعات الخلوة، فالبيئةُ السّهليّةُ الحُورانيّةُ تدعو النفسَ إلى التّفكُّر والانسجام مع كُلّ مكنوناتها؛ ليغزوَكَ بعدها شعورٌ كأنَّ أحدًا نفخَ في صدرِكَ كلماتٍ لتتكوّنَ فيك، وتنطلقَ على هيئة إبداعٍ يرتسم في سماء العربيّة.

ربّما كنتُ ذلك الشخص الذي ينتظر قدومَ الشّتاء بلهفة، الشّتاءُ في مدينتي أجملُ ما يكون؛ والسّببُ هو اعتداله، حتى إنَّ الثلجَ يُعتبَرُ قصّةً نادرةَ السّرد، ومع ذلك كنتُ أنظرُ للشّتاء بفرحة طفلٍ صغيرٍ؛ لأنّهُ مصدرٌ لإلهام الكلام، ما إنْ يطرُق المطرُ على شباككَ حتى تسمعَ موسيقى ليس لها مثيلٌ في الكون، أو ربما كانت تلك الجلساتُ التي تشُدُّني، حيثُ يجلسُ جَدّي ويتحلّقُ حولهُ الأبناءُ والأحفادُ، ويقومُ بسردِ الحكاياتِ القديمةِ عن أساطيرَ كانوا يسمعون عنها، مثل: (الغولة) و(الوحش)، ويتخلّلُ تلك القصصَ البردُ وصوتُ موسيقى المطر.

وبعدَ مُدّةٍ من المتعة ينتهي الجَدُّ من سردِ قصّتِه، ويبدأُ بعدها في إنشادِ القصائد التي تُودّي إلى قصّةٍ أجمل، حيث يقوم جَدّي بشرح كلّ تفصيلٍ لنا، أمّا عن جلساتِ السّمر، فهي لا تقلُّ أهميّةً عن جلساتِ الشّتاء، إلّا أنّني كنتُ أُحبّذُ سكونَ الشّتاءِ وهدوءَ اللّيلِ الطّويل.

كنتُ صغيرًا وقتذاك عندما سمعتُ عن كُتّابٍ مشهورينَ في مدينتي مدينةِ الرّمثا، استهجنتُ الموضوعَ في بادئ الأمر، أنا ذاك الطّفلُ الذي كان لا يغفو إلّا على قصص الأساطيرِ القديمةِ، أو على صوتِ قصيدةٍ من قصائد جبران خليل جبران، وقصصِ ألفِ ليلةٍ وليلة، كانت هذه الكتب القليلة في منزلنا، تساءلتُ مرارًا وتكرارًا، هل يُعقَلُ أن أقابلَ كاتبًا ما؟ أو هل يُعقَلُ أن يكونَ هنالك كُتّابٌ وشعراءُ في الرّمثا؟

في أردنّنا الحبيب هنالك عرار، ومحمود الشلبي، وهاشم غرايبة، كنتُ أتخيّل أنّهم فقط محضُ أساطير في الكتب المدرسيّة، إلى أن أتتِ اللحظةُ الحاسمةُ، حيثُ - وبحُكمِ القرابةِ - وجدتُ مع عمّتي ديوانَ شعرٍ للشّاعر عبد الكريم أبو الشيح، يحملُ اسمًا مُبهرًا (إيّاك أعني)، وهنا كانت الصّدمةُ المُفرحةُ، حيثُ إنّني أحملُ ديوانَ شعرٍ لشاعرٍ رمثاويّ، تفحّصتُهُ بشدّةٍ وقرأتُهُ عدّةَ مرّاتٍ لشدّةِ فرحتي به، لدرجةِ أنّني حاولتُ كتابةَ قصّةٍ، ووضعتُها في دفتر، وقمتُ بالمقارنةِ بينها وبين هذا العمل بروحانيّة طفلٍ يحلمُ أن يوضعَ اسمُهُ بين كبار الكُتّاب والشّعراء، كانت أحلامًا طفوليّةً بريئةً.

بالحديث عن الكتابة والقراءة، نادرًا ما كنتُ أسمعُ عن حدوث احتفالٍ أو ندوةٍ أدبيّة، كنتُ وما زلتُ مُتلهّفًا لخبرٍ عن ندوةٍ ستقامُ في مدينتي، هذه من الأشياء نادرة الحدوث، كنتُ أسمع عن إربدَ تُقام فيها مثل هذه الندوات، وعن عمّان، أمّا في مدينتي اقتصرَ الأمرُ على مجموعةٍ من الإشهارات، كلّ شهرين أو ثلاثة تُقام، وأحيانًا لا تُقام، فعرفتُ حجمَ النّقص الذي يُمثّلُهُ البُعدُ الجغرافيُّ عن مركز جميعِ الأحداث.

عملَتْ ثورةُ الاتصالات ووسائلُ التواصل الاجتماعيّ على النهوض ببعض الأسماء، وتنظيم العديد من الملتقيات، واحتضان العديد من المواهب التي ظهرَتْ عن طريق تلك المنصّات، حيثُ عمل الأستاذُ والكاتبُ القدير توفيق جاد على احتضان العديد من المواهب الشابّة - وما زال - وتنظيم العديد من النّدوات الثقافيّة واللقاءات الأدبيّة النقديّة، ودورات التدقيق الإملائيّ، التي من شأنها أن تُنتجَ كاتبًا يعزفُ على خيوط الشّمس الحورانيّة ألحانًا صُوفيّةً، تختزنُ في طيّاتها حبًّا لا مثيلَ له.

إنّ الكتابةَ في مدينتي تُعتبَرُ من أرقّ الكتاباتِ وأجودِها، ويجبُ الاهتمامُ بها أكثر، وبحكمِ المقارنةِ مع مدينتي إربد وعمّان، فإنّه ينقُصُنا العديدُ من المنصّاتِ الثقافيّة التي تولّدُ كُتّابًا يرسمونَ الطّريقَ الآتي.

أثرُ المكانِ على بذرةِ الكتابة

جلال الجنايدة

لا شكّ في أنَّ الإنسانَ ابنُ بيئته، يؤثّر فيها وتؤثّر فيه، وعندما نتحدّث عن البيئة، فإنّنا نعني هنا البيئة بمفهومها الواسع الشامل، وليسَتْ هي مجموعةَ العناصرِ الطبيعيّةِ المحيطةِ بنا من تضاريس ومعالم طبيعّة فقط، إنّما هي أيضا البيئة الاجتماعيّة والاقتصاديّة والسياسيّة، والثقافيّة والتكنولوجيّة، وغيرها الكثير التي تلعب دوراً كبيراً في تشكيل ثقافة الفرد، لذلك فإنَّ تلك العناصر جميعها، بالإضافة إلى البيئة المحيطة بنا من تضاريس ومعالم طبيعيّة، تؤثّر بشكل مباشر وكبير على حياة الكاتب ومسار كتاباته، وربما يصبح الكاتب متميّزاً بها، حيث يمرّ الإنسان منذ طفولته وإلى نضجه بمراحل فكريّة متعدّدة، وبمحطّات ثقافيّة كثيرة، سببها تغيّر البيئة، وربّما تطوّرها، وربما أيضاً انقراض واندثار بعضها.

أتذكّر عندما كنتُ طفلاً صغيراً كانت بيئةُ أسرتنا بيئةً ثقافيّةً فكريّةً، دفعتني لأتعايشَ معها من خلال مداومتي على قراءة الكتب والصحف المحلّيّة اليوميّة، التي كانت من الضروريّات الواجب توفّرها يوميّاً، وإذا ما خرجنا أبعد قليلاً نحو المجتمع الذي نعيش فيه، سنجد أنَّ أغلب أفراد المجتمع كانوا على مستوى لا بأس به من الثقافة والوعي بقضايا المجتمع وهمومه ومشاكله، سواء أكانت تلك القضايا سياسيّةً أم اجتماعيّةً أم رياضيّةً أم غير ذلك.

كلّ تلك الظّروف كانت تُشكّل فينا ثقافةً مستقاةً من بيئتنا، التي كانت تتميّز بتعدّد المواهب والثقافات بالنسبة للفرد، فتجد الشّخص يُجيد الحديث بعمق في مختلف القضايا والمعارف التي اكتسبها، من خلال القراءة، أو من خلال المجالس التي كانت عنصراً مهمّاً في تزويد الفرد بمختلف الثقافات، بصرف النّظر عن مدى دقّتها وصحّتها.

وعند الحديث عن البيئة المحيطة بالإنسان من تضاريس ومعالم طبيعيّة، فإنّه ممّا لا شكّ فيه لها دور كبير في ما يكتبه الكاتب، خصوصاً في الكتابات الأدبيّة، وأخصّ بالذّكر الرّواية والقصة والشّعر، وهذا ظهر جليّاً في معظم الأعمال الأدبيّة العالميّة، حيث لعب المكانُ دوراً مهمّاً في إثراء عمل الكاتب، ولا شكّ في أنّ تنوّع التضاريس وكثرة المعالم الطبيعيّة، تجعل الكاتب يسبح في فضاء رحب وواسع من الإبداع والإتقان.

إنّ القارئ المُتعمّق للرّوايات الأدبيّة، يجد عنصر المكان حاضرًا بأبهى تجلّياته، فالبيئة لها دور كبير في تشكيل شخصيّة الكاتب، لكن ليس من الضرورة بمكان أن تصنع البيئةُ من الفرد كاتباً، فالشّخص يكون كاتباً بصرف النظر عن البيئة المحيطة فيه، والمقصود بالبيئة هنا الجغرافيا والمكان، فهناك الكثير من الكُتّاب كتبوا مؤلفاتهم في أصعب الظروف البيئيّة، وهناك الكثير من الكتب أُلّفت في السّجون والمعتقلات، وبعضها الآخر في الحروب، والكثير أيضاً في صحراء قاحلة، حيث الطبيعة القاسية ومحدوديّة العناصر الطبيعيّة، لكنّه الإبداع الذي لا يعرف حدوداً ولا يعترف بالعوائق، فالأحرى بالشّخص الكاتب أن يُطوّع البيئة لخدمة النّصّ، لا أن يُطوّعَ النّصّ ليتماشى مع الطبيعة.

بإمكان الكاتب أن يكتب عن الجبال والبحار والأنهار، حتى لو كان في وسط صحراء قاحلة، فالكاتبة البريطانيّة الشهيرة (أجاثا كريستي) تألّقت في كتاباتها، وطوّعت البيئة لخدمة نصوصها، حتى شكّلت لنا لوحات بديعة، ومثلها الأديب الروسي الشهير (ليو تولستوي)، الذي أبهر العالم بكتاباته الجميلة العميقة، التي كانت تتميّز بعمقها الاجتماعيّ والواقعيّ المُلامِس لحاجات الناس وحياة الأفراد، فقد مزج الرومانسيّة بالبؤس، ولفت الأنظار إلى معاناة الطبقة الاجتماعيّة الفقيرة، التي تعاني الأمرّين في تحصيل لقمة عيشها وسعيها الدّائم للهروب من شبح الفقر، الذي كانت تعاني منه المجتمعات في ذلك الوقت، فقد عاش حياته مدافعاً عن الفلّاحين والطبقات الكادحة المُهمّشة، التي كانت تعاني بسبب الفقر الشديد، وهضم الحقوق، وتراكم الدّيون، وغياب العدالة الاجتماعيّة.

أمّا عن أثر البيئة بعناصرها كافة، فقد كان لها أثر كبير في ما كنتُ وما زلتُ أكتبه، فالإنسان لا يمكن أن يعيش بمعزل عن بيئته وينعزل عنها، ولا يمكن له أيضاً – وعلى الأغلب – ألّا يتفاعل معها، فهطول المطر، وتراكم الثلوج، وهبوب الرّياح، وتعاقب الفصول في بيئة ريفيّة جميلة، لا شكّ أنّها في الأغلب تبعث في النفس البهجة والسّرور، وتضفي على حياة الكاتب شيئاً من الأجواء الجميلة التي تدفعه لكتابة ما انعكس على مزاجه من صفاء، وربّما الحياة الاجتماعيّة التي يعيشها أبناء الرّيف من أوضاع صعبة، تجعلك تحمل همومهم وتتكلّم بلسانهم، وتُسمع أنينهم للناس.

ولكونك تعيش في مدينة أهمّ ما يُميّزها منظومة القيم ومجموعة العادات والتقاليد، التي كانت في فترة من الفترات على قدرٍ عالٍ من القدسيّة، لذلك فإنّ ما طرأ ويطرأ على المجتمع من تغيّر أو تجاوز على القيم والعادات السائدة في المجتمع، فإنّه لا شكّ سيكون محطّ اهتمام خاصّ في ما أكتبه، فالمواضيع الاجتماعيّة بشكل عام محطّ اهتمام الناس، وتقسمهم إلى فريقين: فريق يؤيّد ما تكتبه، وآخر ربّما لا يروق له ما تتحدّث عنه، ويعود ذلك لما يسمّى بصراع الأجيال، أو لقناعات خاصة بالشخص نفسه.

ولأنّ قدرنا أن نعيش في بيئة جغرافيّة محيطة بنا، سمتها الرئيسيّة النّزاعات الداخليّة والحروب، واللجوء والنزوح، والأزمات السياسيّة، فهذا بلا شكّ يقودك لتكتبَ بما يُمليه عليه ضميرك؛ للدفاع عن وطنك بالدرجة الأولى، وعن بلاد العرب والمسلمين، وما يعانون منه من جور وظلم، فالكاتب الذي يتخلّى عن أمّته ووطنه، لا خيرَ فيه، فهم أَوْلى بالكتابة عنهم والحديث عن معاناتهم وإنجازاتهم، والتفاعل معهم والفرح لفرحهم والحزن لحزنهم، وبهذا تكون كاتباً ذا وجدانٍ قريبٍ من قلوب الناس، وكاتباً حاضراً في وجدانهم.

دوار مدينة الرمثا/ الأردن

رحلةُ الوجدان..
الكاتبُ بينَ العاطفةِ والإبداع

آية فايز داود

سنبحرُ اليومَ إلى شمال الأردن، وتحديداً إلى مدينة الرّمثا، المدينة الأكثر جمالاً، مدينة ذات حضارة وتاريخ عريق، وصفها كثيرون بعروس الشّمال، ومدينة (عيال الصويت)؛ نظرًا لصفات أهلها الشّهمة، والمروءة التي غنّى بها المغنّون في الأردن كافة.

شهدت الرّمثا العديد من الحضارات القديمة، وتُعَدّ إحدى القرى الكبيرة في مدينة إربد، حيث تتماشى مع العصر الحديث بجميع تحديثاته، فتجد الأسواق التّجاريّة الواسعة، والحدائق، بالإضافة إلى التعليم المتقدّم في جميع مدارسها، لقد كان لمعلّماتي تأثير كبير في اكتشاف كتاباتي والمساعدة في تطويرها.

في مدينة الرّمثا هناك معلّمات ومعلمون على مستوى عالٍ من التعليم، وكان لهذا التأثير دور كبير في تطوير كتاباتي ونشرها، كانت بداياتي تقتصر على قصص قصيرة متنوّعة في مواضيعها، منها مواضيع تتناول العائلة والأهمية الكبيرة لوجودها في نشأة الشخص.

شجّع تقدّم مدينة الرّمثا، ومحاولتها التكامل مع ثقافات المدن الكبيرة، على تطوير كتاباتي، حيث شاركتُ في العديد من المسابقات التي كانت تُشارك فيها مدرستي على مستوى المحافظات، وكان لها دورٌ كبيرٌ في صقل كلماتي وتنويع مفرداتي اللغويّة على مرّ السنوات، وأودّ أن أشيرَ إلى نقطةٍ هامّةٍ، وهي أنَّ الشّخص يستمدّ مهاراته وتجاربه من البيئة المحيطة به، فقد استمددتُ مهاراتي الأدبيّة والثقافيّة من عائلتي والبيئة التي أعيش فيها، فقد ساعدت العائلةُ في صقل وتطوير هذه الشخصيّة الأدبيّة المُثقّفة، في محاولة للانخراط في هذا المجتمع الأدبيّ الكبير.

أمّا بالنسبة للابتعاد عن العاصمة، فلم يؤثّر ذلك في صقل مهاراتي؛ لأنَّ المراكز الثقافيّة ساعدت في توصيل صوت الكُتّاب للمشاركة في المسابقات والنّدوات على مستوى المملكة، ولا ننسى المراكز الصّغيرة التي تحاول الظهور والمشاركة في العالم الأدبيّ، على الرغم من الإمكانيات القليلة.

ساعدت إحدى هذه المراكز في تقديم كتاباتي وعرضها أمام جمهور، ما ساعد أيضاً في تعزيز الثقة في كتاباتي ونجاحها، ولا أنسى الدور الإعلاميّ لجامعتي، حيث تمّت استضافتي في إذاعة جامعة اليرموك؛ للحديث عن نشأتي وتطوّر مهاراتي الكتابيّة، والأمور التي ساعدت في إثراء مفرداتي اللغويّة، وأتذكّر أنَّ المذيعة طرحت عليَّ سؤالاً حول تفضيلي بين كتابة القصة القصيرة أو الرواية، كان جوابي أنّني أُفضّل كتابة الرّوايات أو ما أسميها بالقصص الطويلة؛ لأنّني أجد نفسي أستمتع بالتفاصيل، وإضفاء الصور الفنّيّة على كتاباتي.

وبالحديث عن نشأتي في الكتابة، أرغب في إضافة معلومة مهمة، وهي أنَّ كلّ كاتب يجب أن يكون قارئاً، وعلى الرّغم من اكتشاف موهبتي في الكتابة قبل أن أصبح قارئاً مدمناً، فإنَّ القراءة ساعدتني في تصحيح العديد من الأخطاء في البداية.

أرضٌ خلقَتْ منّا نصوصًا مُتحرِّكةً

اعتدال درابسة

نشأتُ في منطقة الرّمثا/ الطّرّة، ونشأ فيها قديماً أجدادي ووالدايَ، ولدتُ عام 1995، كانت في وقت ولادتي أشياءُ كثيرةٌ لم تتطور، ولم تكن حديثةً كما في وقتنا هذا، نحن الآن في عام 2024، تطوّرت بلادي، وتغيّرت كثيرٌ من الأشياء، حتى عقول الناس تغيّرت، فقديماً كانوا على عصر الزّراعة والحصاد، وحياتهم عادية جدّاً، ولم تكن الإلكترونيّات موجودة أصلاً في زمنهم، فلم يكن لهم دور ثقافيٌ في المجتمع، حتى إنّهم لم يكونوا يُشجّعون على الدراسة كثيراً.

الآنَ تغيّرت بلادي، وأصبحت بلداً حضاريّاً وثقافيّاً، تختلف فيها أشياءُ كثيرةٌ عمّا كانت عليه زمن أمهاتنا وآبائنا وأجدادنا، أصبح للأجهزة دورٌ كبيرٌ في حياتنا، ودراساتنا العليا أصبحت من أهمّ الأشياء لدينا، حيث أصبح أهلنا يُشجّعون على ذلك.

أصبحنا نقرأ الكتب، فمع تجدّد الأجيال ازداد فكر الشّبّان، فأصبح أكثر الشّباب في هذا الزمن كاتبين متمرّسين، أحدهم يكتب عن بلده، والآخر يكتب عن حياته، وغيره يكتب عمّا يراه. نروي ما نشاهد وننقل لغيرنا صورةً عمّا نعيش، نحن في زمنٍ يعيش الطّفلُ فيه أشياءَ أكبرَ من عمره، فأصبحنا كاتبين منذ طفولتنا.

لم نستطع يوماً نقل صورتنا الحقيقية بقدر ما كنّا نحجب بعضَ الرؤيا عنّا، فكنّا نُلوّن الكلمات، ونرسم الصّور بخيالاتنا، ونخفي حقائق قلوبنا، نحن مَنْ تعوّدنا أن نعيشَ دورَ كاتبٍ عظيم له موقع في منطقته، يُؤنس كلَّ قارئٍ، ويجعل مَنْ لا يستطيعُ صياغة الحروف يفعلُ ذلك.

كُنّا دوماً ننتظر من يقول لنا: إنَّ كلماتنا التي نكتبها جميلة، نعيش على كلمة الآخرين وعلى تشجيعهم، ونعرض ما نكتب على غيرنا؛ لنشعرَ بأنّنا عظماء في أعينهم، فكلّ من كان يقرأ لنا، كانت تُعجبه نصوصنا.

نقيم في الرّمثا/ الطّرّة، منطقة تصنع العظماء ليس بثمنٍ بسيطٍ، بل ندفع كلّ أعمارنا ثمناً لأن نكون عظماء؛ لأنّنا نكتب عن قلوبنا قصصاً تشرح مشاعرنا، جرّبنا أن ننشرَ منها على الأوراق، لكنَّ الأوراق لم تكن تشرح ما نشعر به، يوماً بعد يوم يزيد الحماس في قلبي، فأصحو بقلبٍ تغشاه الطّمأنينة، قلب يعيش على أمل أن يصل مراده يوماً في أن أصبح كاتبة.

في منطقة الرّمثا/ الطّرّة يوجد أكثر من شابّ وشابّة يحلمون بأحلام لا نستطيع إيصالها؛ لبعدنا عن العاصمة، فكلُّ كلمةٍ نكتبها تستحقّ أن تصل للعالم عبر أصوات الراديو المنبعثة من الاستوديوهات الإذاعية، أشخاصٌ مثلنا تطوّرنا وطوّرنا من أنفسنا، نعمل دوماً على أن تكون حروفنا مُدوّنةً في كتب مصفوفة على الأرفف، فمرّةً نُسمّي الكتابَ باسمٍ يجعل القارئ يتلهّف لقراءته، ومرّةً نرمي أوراقنا على الجدران مُلصقاتٍ؛ لنجعل كلَّ مَنْ يُحبّ الكلمات الشّعريّة والنّثريّة يتبعها ليصل إلينا.

نحن أبناء الطّرّة، عانت قلوبنا جهلاً من أجدادنا، فلم يهتمّوا لأقلامنا التي تخطّ عنهم وعن زمانهم، كتبنا عنهم ما لم يكتبه أيُّ أحدٍ عن بلاده، وزّعنا حروفنا بحبّ، ومسحناها كبلسمٍ على وصفنا لهم؛ ليبدوا بأجملِ صورةٍ أمام مَنْ يقرأ.

وبالرغم من أنّهم كانوا يعيشون جهلاء لهذه المواهب التي يكتنزها أبناؤهم، فإنّنا ورثناها عنهم، هم مَنْ علّمونا أنَّ حبّ الأرض والزراعة والحصاد، سَيُخرج من دواخلنا كتّاباً عظماءً، لا أحدَ يستطيع مبارزتنا بالكلمات. نعيش على أرضٍ تصلنا بحبّها، فتغرس عوالمها فينا، صحيحٌ أنّنا تطوّرنا قليلاً، وأصبحنا نعيش في زمنٍ مختلفٍ عن زمن أجدادنا، نستطيع الآن كتابة نصوصنا عبر الأجهزة، نخطّ ما في قلوبنا متى شئنا، ونشرح ما يدور بداخلنا، نتذمّر ونبكي ونشاغب، حياتنا في تلك الأجهزة، لم تَعُدِ الأقلامُ التي تخطّ كلماتنا، بل أصبحنا نكتبُ ونكتبُ على شاشاتٍ مضيئةٍ وبيضاءَ كالورق تماماً، وبعد ذلك نطبعها أوراقاً، حياتنا تغيّرت.

الرّمثا عبارة عن أرض خضراء جميلة جدّاً، تُشجّعنا على شرح قلوبنا، وتضع فينا حماساً لأن نكون على غير عادتنا، نكون أشخاصاً رائعين، نمتلك مواهب شتّى تختلف عن بعضها بعضاً، الرّمثا تزرع فينا أشجاراً مثمرةً بثمارٍ جميلةٍ.

أجيالٌ مختلفةٌ، فكلّ عام يختلف عمّا مرّ في العام السابق، حتى نفوسنا لم تبقَ على طبيعتها، وحروفنا الجميلة أصبحت تختلف عن أول مرّة مسكنا أقلامنا لنكتب، لقد كنّا ببساطةٍ نخطّ الكلمات كأنّنا نُنشد أناشيدَ وطنيّةً ذات معانٍ عادية، الآنَ أصبحنا نكتب مفرداتٍ فريدةً لا تتطابق مع مفردات أجدادنا ومصطلحاتهم، حتى إنَّ آباءنا وأمهاتنا حين يقرؤون لنا لا يفهمون ما نعني، على عكس شخص قارئ أمضى حياته كاملة على الأوراق وبين الكتب المبعثرة، والمشكلة أحياناً نقرأ لنزار قباني وأحياناً لجبران خليل جبران، حتى هؤلاء الكُتّاب لم نَعُدْ نقرأ لهم كثيراً، أصبح يعجبنا (ديستويفسكي) أكثر.

قرأتُ ذاتَ يوم رواية (قواعد العشق الأربعون)، إنّها من أجمل ما قرأت، كأنَّ كاتبتَها تقصّدت أن تضع عواطفها بين الكلمات؛ لتتركَ في قلب كلّ قارئ أثراً لا يزول على مدى الأعوام. كنتُ أختار المفردات من بين كتبي التي أقرؤها وأضعها في نصوصي، لكنّني تمرّستُ على الكتابة، فجعلت لكلّ حرفٍ وكلمةٍ تتكوّن منه مكاناً في قلبي، يأخذ جزءاً منّي ومن ملامحي، ثم يحطّ مثل الفراشة المُحلّقة بين حقول القمح في سهول الرّمثا، ومثل الورود في أراضيها، تتمشّى بين هذا وذاك، ولا تنتظر لأن يقول لها أحدٌ أن تجلس بقلبه.

كلماتي هي التي تسكن فؤادَ كلّ مَنْ كان يقرؤها، كلُّ أحدٍ طلب أن يكون بالقرب منّي، كان له كلّما سنحت له الفرصة، أن يأخذ نظرةً على نصوصي، فيقرأ بعضها حتى يرتوي. جعلتُ لكلّ شيءٍ في حياتي أثراً في الحروف، إنّها تكتب عنّي تماماً، تصفني بأنّني شخصيّة انتقائيّة، انتقائيّة لأنّني أختار كلماتي بدقة، ولا أضعها بعشوائيّة، إنّما أرتّبها لتكونَ ملائمةً لكلّ قارئ.

قرأتُ ذات مرّةٍ في الظروف الجديدة تصعد إلى القمّة أمّةٌ لا شأن لها بالمثقّف ورؤيته، فعزمتُ أن أكونَ كاتباً لأكتبَ عن تلك الأمة، التي لم تقرأ كتاباً واحداً يوماً لتُغيّر نظرتها تلك، فأنا أفتخر لكوني ابنة الرّمثا، منطقة تُقدّر كُتّابها وتُشجّعهم، فأناسها يهتمّون كثيراً بأن يكون أبناؤهم شعراء، ويفتخرون حين يرى بعضُهم بعضَهم الآخرَ يكتب عن بلدته الجميلة.

لوحة الفنان شادي غوانمة/ الأردن

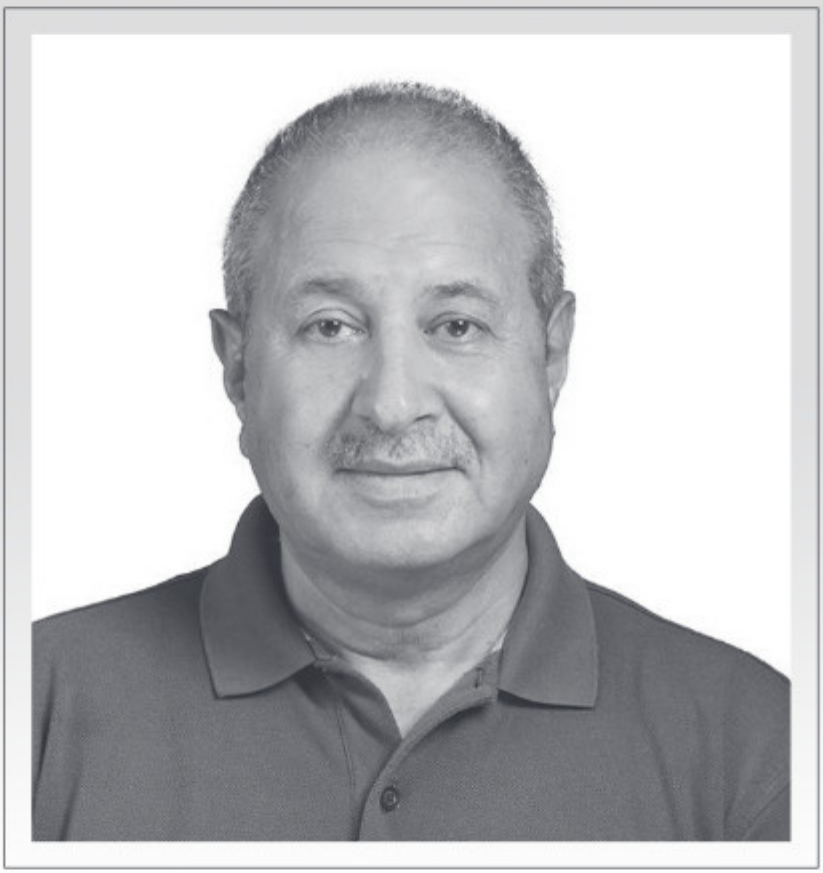

رمضان الرواشدة/ الأردن

ملتقى الأجيال

رمضان الرواشدة

بيان مبارك العوضيّ

كاتبان من الجنوب على طاولة (صوت الجيل)

حاورته: بيان مبارك العوضيّ

ملتقى الأجيال

رمضان الرواشدة:

كلُّ إنسانٍ يمشي على قدمين
هو روايةٌ مُتكاملةٌ تحتاجُ إلى مَن يكتبُها.

في هذا العدد من (صوت الجيل) تحاور كاتبةٌ شابّةٌ كاتبًا مُكرّسًا، حوارًا يلتقي فيه جيلان، جيل يسعى إلى الكتابة وقد نشأ في مرحلةٍ لها سماتها وخصائصها وظروفها المختلفة، وجيل عاصر مرحلةً مهمّةً بكل أبعادها الثقافيّة، والاجتماعيّة، والسياسيّة.

في هذه المساحة من ملتقى الأجيال، فرصةٌ لحيازة الخيط الأول من النور نحو الكتابة الحقيقيّة، إذ تُحاورُ الكاتبةُ بيان مبارك العوضي، الرّوائيَّ والقاصَّ رمضان الرواشدة، الذي بدأ عمله مترجمًا ومحرّرًا في صحيفة (الشعب) عام 1989، واستمرّ بها إلى عام 1989، ثمّ كاتبًا صحفيًّا في صحيفة (الرأي) الأردنيّة بين عامي (1994– 2003)، ومراسلًا لإذاعة (الشرق) في باريس بين عامي (1999– 2003)، ومراسلًا لصحيفة (المستقبل) اللبنانيّة بين عامي (2000– 2003)، قبل أن يعمل مستشارًا إعلاميًّا لرئيس الوزراء من (2003 – 2005)، ثمّ منسّقًا للعلاقات العامّة في مكتب رئيس الديوان الملكيّ الهاشميّ من 18 نيسان/ أبريل إلى 11 كانون الأول/ ديسمبر 2005.

عمل بعد ذلك مديرًا عامًّا لوكالة الأنباء الأردنيّة (بترا) منذ عام 2007، وفي عام 2012 قرّر مجلس الوزراء الأردنيّ تعيين الرواشدة مديرًا عامًّا لمؤسّسة الإذاعة والتلفزيون الأردنيّة. انتخبته الجمعيّة العامّة لاتّحاد إذاعات الدول العربيّة – الّتي انعقدت بالكويت – نائبًا أوّلَ لرئيس اتّحاد إذاعات الدول العربيّة مدّة عامين، عيّن بعد ذلك رئيسًا لمجلس إدارة المؤسّسة الصحفيّة الأردنيّة (صحيفتي الرأي والجوردان تايمز) من (2015 – 2018).

وفي تشرين الأول/ أكتوبر 2018، قرّر الاتّحاد العامّ للمنتجين العرب تعيين الرواشدة رئيسًا لمهرجان القاهرة للتلفزيون والبثّ الفضائيّ، ضمن فعاليّات مونديال القاهرة للإعلام العربيّ، بناءً على خبرته في مجال التلفزيون والبثّ الفضائيّ. وهو عضو مؤسّس في الجمعيّة الأردنيّة لحقوق الإنسان، وعضو مؤسّس في تحالف الحركة العالميّة للديمقراطيّة، وعضو مجلس إدارة جائزة الصحافة العربيّة بنادي دبيّ للصحافة، وعضو مجلس كلّيّة الإعلام بجامعة اليرموك، وعضو مجلس إدارة إذاعة اليرموك إف إم، وعضو رابطة الكتّاب الأردنيّين، وعضو نقابة الصحفيّين الأردنيّين، وعضو اتّحاد الكتّاب العرب.

وفي عام 2021 اختاره الملك عبد الله الثاني ابن الحسين – حفظه الله – ليكونَ عضوًا في اللجنة الملكيّة لتحديث المنظومة السياسيّة، وبعد الانتهاء من أعمال اللجنة منحه الملك وسام مئويّة الدولة الأولى كباقي أعضاء اللجنة.

نشر الرواشدة أولى رواياته عام 1992 بعنوان (من حياة رجل فاقد الذاكرة) أو (الحمراوي)، وقد فازت بجائزة نجيب محفوظ لأفضل رواية عربيّة عام 1994، وتروي قصّة رجل فقد ذاكرته، وبدأ يرى على أثر هذا الفقدان للذاكرة أشياء غريبة، ويروي قصصًا طريفة. والرواية الثانية (أغنية الرّعاة) صدرت عام 1998.

وبعد ثماني سنوات صدرت ثالث رواياته بعنوان (النّهر لن يفصلني عنك)، ويدور محورها حول نهر الأردنّ وفلسطين، وفي روايته الرابعة (جنوبيّ) عام 2019، كانت السيرة الذاتيّة واضحة، ثمّ أصدر في عام 2022 روايته (المهطوان)، الّتي طبع منها أكثر من طبعة، وتحوّلت إلى مسرحيّة فنّيّة عُرِضَ منها أحدَ عشرَ عرضًا في العاصمة عمّان ومحافظات المملكة، وله تحت الطبع الآن رواية (حكي القرايا).

أمّا بيان مبارك العوضي فهي كاتبة من الطفيلة، وُلدت في بصيرا جنوب محافظة الطفيلة، حاصلة على درجة البكالوريوس في الأدب الإنجليزيّ من جامعة الطفيلة التقنيّة، ودرجة الماجستير في اللغة من جامعة مؤتة، وحاصلة على عدة جوائز في مسابقات عديدة محلّيّة، منها جائزة قاصّ جامعة الطفيلة (2010/2011)، وجائزة قاصّ جامعة مؤتة 2016، وجائزة الراحل محمد عياش ملحم الأدبيّة للمركز الثالث عن حقل الرواية، وجائزة الراحل محمد ملحم عياش الأدبيّة للمركز الأول عن حقل القصة القصيرة، وجائزة ملتقى بصيرا الثقافيّ للقصة القصيرة المركز الأول، وهي أيضًا مشاركة وفائزة بمسابقة أجمل نصّ في مسابقة مجلة (صوت الجيل)، ولها قصص منشورة مع لفيف من أدباء دار نشر ببلومانيا.

• لافتة هذه التوليفة الّتي أنت عليها، فأنتَ الصّحفيّ، والسّياسيّ، والفلّاح، والرّوائيّ، والإنسان، كيف ترى أنّ مثل هذه التركيبة قد ساهمت في تكوين رمضان الرواشدة الّذي نعرفه اليوم؟

– للأسف ثمّة حقيقة في عالمنا العربيّ، وهي أنّ الكاتب والأديب، مهما بلغ من الشأن، ومهما حاز من الجوائز، لا يمكن أن يعيش من مردود كتاباته. عرفتُ بعضَ الأدباء في أوروبا، وهم متفرّغون تمامًا لإنجاز أعمالهم الروائيّة، ودخلُ بعضهم السنويّ من العقود مع دور النشر والمبيعات يتجاوز مليون يورو، لذلك نجدهم يتفرّغون لأعمالهم الأدبيّة.

عندنا لا يوجد كاتب متفرّغ، لذا يكدح الأديب والكاتب الأردنيّ والعربيّ ليل نهار؛ من أجل ان يوفّر حياةً كريمةً له ولأسرته، حتّى مَنْ فازوا بالجوائز العربيّة، فمردودها الماليّ ليس كبيرًا، كما أنّ الرّيع الأكبر يذهب لدور النشر الّتي لا تُعطي الكاتب إلّا النزر اليسير، هذا في حال كان الكاتب مشهورًا، وتبنّت طباعة كتبه، الغالبيّة العظمى من الكتّاب والأدباء يدفعون من جيوبهم لنشر أعمالهم، لذا كان الصحفيّ في هو الّذي يصرف عليّ ككاتب وروائيّ.

وثمّة مسألة أخرى، العمل الصحفيّ ساعدني كثيرًا في معرفة نماذج إنسانيّة من مختلف شرائح المجتمع الأردنيّ والعربيّ، وأعتقد أنّ كلّ إنسان يمشي على قدمين هو رواية متكاملة تحتاج إلى مَنْ يكتبها.

في البدايات، فإنّ القراءات الثقافيّة والسياسيّة والأدبيّة فتحت الوعي عندي على القضايا السياسيّة، فكان الانحياز السياسيّ عندي مقرونًا بهموم الناس، وصراعهم من أجل الحرّيّة والديمقراطيّة وحقوق الإنسان، وهذه كلّها جزء من انشغالات الكاتب والأديب، فالأديب المنتمي لا بدّ له أن ينغمس في هموم شعبه، وأن يناضل من أجل كرامته وحقوقه، وهو ما دفعني للعمل السياسيّ والحزبيّ، الّذي دفعتُ ثمنه غاليًا، في وقت كان صعبًا في مسيرة حياتي وحتّى في مسيرة الدولة الأردنيّة.

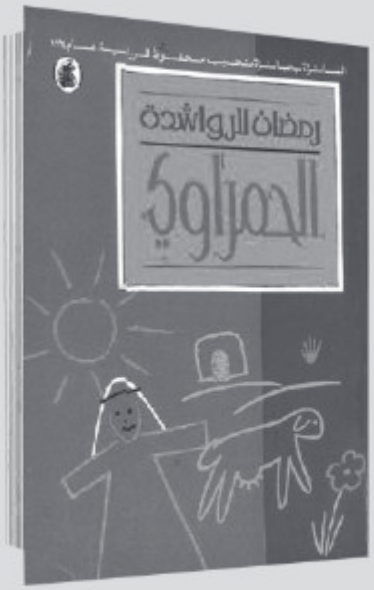

• عملتَ في الإعلام عام 1989، وأصدرت روايتك الأولى (الحمراوي) عام 1992، كيف وفّقتَ آنذاك بين انشغالك الإعلاميّ واشتغالاتك الأدبيّة؟

– لم يحدّثني عملي الإعلاميّ عن الكتابة، فالكتابة هي نوع من خلق التوازن بين الداخل والخارج، بين الخاصّ والعام، بين الشخصيّ والعامّ، بين النفسيّ وبين الحياة بهمومها المتشعّبة، لم تحدّ بوصلتي أبدًا عن الهموم العامّة الّتي كتبتُ عنها، ولم يشغلني عملي الصحفيّ والإعلاميّ عن الكتابة، بل كنت أسرقُ الساعات في الليالي؛ من أجل أن أقرأ وأكتب، ثمّ أدفع بالرواية للنشر.

أوّل رواية طبعتها على نفقتي الخاصّة، وقد استدنتُ ثمنها من صديق لي، ثمّ بدأتُ بعدها أسدّدُ له الدّين بالتقسيط، هذا الحال ليس مقصورًا عليّ، بل هو القاسم المشترك للكلّ، وأؤكّد لكلّ الكُتّاب والأدباء في بلادنا.

لعلّ القراءات الّتي رافقت عملي كوّنت عندي مخزونًا هائلًا من الوعي الثقافيّ والسياسيّ، فكان لا بدّ لهذا الحمل أن يصير جنينًا ثمّ طفلًا، ثمّ يكبر رويدًا رويدًا، وكما قلتُ سابقاً لا بدّ في بلادنا أن تعمل وتكدح حتّى تستطيع أن توفّر مالًا لشراء الكتب والكتابة والنشر.

• حدّثني عن تلك اللحظة الّتي شعرتَ فيها أنّ هناك روائيًا يسكنك، كيف كانت؟ وكيف تعرّفتَ عليه؟ هل تتوقّع أنّ طبيعة اللحظة تؤثّر بتشكيل وجه وهُويّة الرّوائيّ في ما بعد؟

– أوّل قصّة وأوّل رواية سمعتُها كانت من أمّي رحمها الله، فعندما كنتُ صغيرًا كنتُ أسمع منها ومن نساء الحارة اللاتي تعود أصولهنّ إلى بلدتنا الجنوبيّة الشوبك، قصصًا وخرافاتٍ وأساطيرَ، تشبه ما يسمّى بالواقعيّة السّحريّة في أدب أمريكا اللاتينيّة، ولعلّ هذا الولع والشّغف بالقصّة والحكاية ساعد على اندماجي بمزيد من القراءات في الرواية والأدب، ما ساعدني على تشكيل ذاتي، وساعدني أيضًا في كتابة أوّل النصوص الّتي لم أنشرها، إلى أنّ قيض لي كتابة روايتي (الحمراوي) بعد أحداث نيسان عام 1989، وبعد خروجي من تجربة السجن المريرة.

في هذه الرواية حاولتُ أن أضعَ أولى أفكاري، فكانت الواقعيّة فيها تتلامس مع القصص الغرائبيّة الّتي تتضمّنها الرواية، وبعضها مستمدٌ ممّا سمعته من قصص وحكايا عندما كنتُ صغيرًا، وخاصّة لمّا كنتُ في العطلة الصيفيّة أزور الشوبك، وأستمع لحكايات كبار السنّ والعجائز.

• في عام 1994 نالت روايتك (الحمراوي) جائزة نجيب محفوظ للرواية العربيّة، هل كانت تلك الجائزة اعترافًا بالوعي السّرديّ الجديد الّذي ظهر في هذه الرواية؟ وهل يُمكننا القول إنّ تلك الجائزة كانت بمثابة الاعتراف أيضًا بالأدب الأردنيّ؟

– ربّما هي مزيجٌ بين الاثنين، فمن ناحية جاءت الجائزة لتكرّس نمط الكتابة الجديدة والحداثيّة، الّتي ساد تيّارها في تلك الفترة، وكنتُ أحد المهتمّين بهذا النمط من الكتابة. ومن ناحيةٍ أخرى كانت أوّل جائزة يحصل عليها كاتب أردنيّ منذ عام 1968، عندما فازت رواية الكاتب الأردنيّ الراحل تيسير السبول (أنت منذ اليوم) بجائزة النهار للرواية.

المهمّ أنّ كاتبًا أردنيًا – وبالرغم من أنّها روايته الأولى الّتي لم يدعمها أحد، ونشرها على حسابه – استطاع أن يضع الكتابة والرواية الأردنيّة الجديدة في مصافّ الروايات العربيّة، وخاصّة المصريّة، وهو – حسب ما

أعتقد – ما فتح المجال بعدها للانتباه إلى أنّ ثمّة جيلًا جديدًا من الكتّاب والأدباء الأردنيّين يخطو بخطوات جيّدة في الكتابة الروائيّة والقصصيّة والشعريّة والمسرحيّة.

• في روايتك (جنوبيّ)، هل تعتقد أنّ شخصيّة جنوبيّ هي المجسّات الداخليّة الّتي تراها وسيلة اتّصال بين البطل وبين العوالم المخفيّة الّتي تختبئ ضمن مقتنيات الروائيّ الّذي تظلّ تبحث عنه وتحويه؟

– كتب كثيرٌ من النقّاد عن هذه الرواية، منهم مَنْ رأى أنّها سيرة ذاتيّة للكاتب؛ نظرًا لوجود تقاطعات كثيرة بين حياة المؤلّف وبين أحداث الرواية، وبعضهم الآخر صنّفها سيرةً روائيّةً، والسيرة الروائيّة إمّا أن تكون ذاتيّة حسب الضمير المتكلّم في الرواية، وإمّا أن تكون سيرة غيريّة.

ليس لديّ مشكلة في التصنيف، فعندما أكتب لا أضع في ذهني أثناء الكتابة سؤال «ماذا سيصنّف القرّاء والنقّاد هذه الرواية؟»، أكتب بوحيي الداخليّ، سواء ظهر كسيرة روائيّة أو سيرة غيريّة. إجمالًا إحدى أهمّ مزايا الرواية هي الشخصيّة، فهناك شخصيّة رئيسيّة محوريّة يدور حولها العمل الروائيّ، وتمسك بتلابيب الأحداث في الرواية، وهناك شخصيّات فرعيّة وثانويّة، وهنا يمكن إذا أردنا التصنيف أن نشمل أغلب الروايات.

لكن هناك موجة عالميّة سائدة الآن في الرواية، وهي رواية السّيرة، وقد احتفت أغلب الجوائز العربيّة والعالميّة بروايات السّيرة، وفازت بهذه الجوائز. عمومًا أجد الأدباء والكتّاب في المغرب العربيّ أقلّ اهتمامًا من أدباء المشرق العربيّ بالتصنيف، فعندما كتب محمّد شكري روايته (الخبز الحافي) لم يُبالِ إن كانت سيرته الشخصيّة أم سيرة روائيّة، وماذا يمكن أنْ نُصنّف رواية (مجنون الأمل) للكاتب المغربيّ الحاصل على جائزة غونكور الفرنكوفونيّة عبد اللطيف اللعبي؟

• يتّضح في رواياتك قصديّة التكثيف السّرديّ، هل يمكننا القول إنّه أسلوب رمضان الرواشدة الروائيّ؟

– بالمجمل نعم، أنا أميل إلى الجملة القصيرة والتكثيف اللغويّ، وهناك علم قائم بذاته اسمه «اقتصاد الكلمات»، يقوم على الكتابة الأدبيّة وحتّى التقارير والقصص الإخباريّة الصحفيّة، بأقلّ قدر ممكن من الكلمات، مثلًا تطلب بعض الصحف ألّا تتجاوز القصّة الصحفيّة 800 كلمة والمقالة 500 كلمة.

وقد تعلّمتُ من الدورات الصحفيّة المتقدّمة الّتي شاركت فيها في مسيرة عملي الصحفيّ هذا النوع من الكتابة، واستثمرته جيّدًا في كلّ أعمالي الروائيّة، وقد صنّف بعض النقّاد رواياتي بأنّها «نوفيليّة»، أي الرواية القصيرة حسب ما يشير إلى ذلك التعبير الفرنسيّ والنقّاد في أوروبا.

لا بأس، ما الضرر في ذلك؟ إذا استطعتُ كتابة رواية جيّدة في مئة صفحة، وعبّرتُ فيها عمّا أريد قوله، فلماذا الإطالة؟ لكن بعض الرّوايات الأردنيّة والعربيّة، ونظراً لطبيعة الأحداث والشخصيّات الّتي تتناولها، احتاجت إلى مئات الصّفحات، ولم يؤثّر ذلك على إقبال الناس عليها، الرواية الجيّدة، سواء كانت مئة صفحة أم أربعمئة صفحة، تفرض نفسها على الجمهور والقرّاء.

• في روايتك (المهطوان) تعمّق شديد بالإنسان والمكان الأردنيّين، هل يمكننا القول إنّ هذه الرواية وثيقة تشهد على مرحلة مهمّة من مراحل الأردن؟

– أجدني أقرب إلى الكتابة عن الأردن، بأحداثه وشخوصه، وتاريخه وهُويّته الوطنيّة، فأنا ابنُ البيئة الأردنيّة، وتعمّقتُ في تفاصيل حياتها في السنين الأربعين الماضية، وكنتُ مشاركًا في بعض الأحداث السياسيّة الّتي مرّ بها الأردنّ، مرّة من موقع المعارض، ومرّات من موقع المسؤول الإعلاميّ والسياسيّ، لذا أرى أنّني أجد نفسي قريبًا جدًّا عندما أكتب وأعبّر عن الهُويّة الأردنيّة.

(المهطّوان) رواية تناولت مرحلة المسكوت عنه في الحياة السياسيّة والحزبيّة الأردنيّة، وحتّى الأدبيّة منها، وشكّلت إدانة مزدوجة لتلك المرحلة، إن كان على مستوى القمع الذي تعرّض له نشطاء الحركة الوطنيّة السياسيّة، أو على مستوى القمع الداخليّ الّذي تعرّض له الحزبيّ نفسه من قيادة الحزب.

في الحالتين ثمّة تشابه بين السلطة السياسيّة والسلطة الحزبيّة، والضائع بينهما هو المثقّف الّذي لم يجد ذاته لا في السلطة ولا في الحزب، الّذي أراد أن يحجر على أفكاره وطريقة تفكيره، ويقمع كلّ نزواته وتطلّعاته وحرّيّته، المثقّف لا يمكن أن يكون مستلبًا، لا من سلطة سياسيّة ولا من سلطة حزبيّة.

• أُعِدَّ عن أعمالك الرّواية عددٌ من رسائل الماجستير والدكتوراة، إلى أيّ مدى ترى أهمّيّة هذا الشكل النقديّ في مواكبة تجربتك؟

– في الحقيقة هي رسالة ماجستير واحدة في جامعة اليرموك لغاية الآن، وثمّة رسالة ماجستير أخرى في جامعة مؤتة قاربت الطالبة على الانتهاء منها، هذه التفاتة مهمّة من أساتذة الأدب والنقد في الجامعات الأردنيّة، ليس لرواياتي فقط، وإنّما للأدب الأردنيّ في مجمله.

هناك في الفترة الأخيرة مراجعة ذاتيّة لدى كلّيّات الآداب في الجامعات الأردنيّة، مفادها أنّنا نتناول أعمال كلّ الأدباء العرب في الرسائل الجامعيّة، فماذا عن الأديب الأردنيّ؟ وقد قرأتُ وسمعتُ أيضاً رسائل ماجستير ودكتوراة عن كثير من أدباء الأردنّ، بمن فيم أدباء من جيلنا، الجيل الّذي بدأ النشر في تسعينيّات القرن الماضي.

• لكونك اسمًا له مكانته الثقافيّة أردنيًا وعربيًا، كيف ترى مستوى الرّواية الأردنيّة هذه الأيّام؟ وكيف ترى حضورها على الصعيد العربيّ؟

– مستوى متقدّم جدًّا، نحن اليومَ لدينا كُتّابٌ أصبحوا نجومًا على مستوى الوطن العربيّ، وتخطّت شهرتهم الواقع المحلّي إلى الفضاءات العربيّة والعالميّة الأوسع، وهذا بحدّ ذاته اعتراف من القارئ العربيّ بتميّز الرواية والأدب الأردنيّ. حتّى على صعيد الجوائز الأدبيّة حصد روائيّون وأدباء أردنيّون جوائز (كتارا)، و(البوكر)، و(نجيب محفوظ) وغيرها، الجوائز جزء من اعتراف العالم بهُويّتنا الأردنيّة المُتميّزة.

• اليومَ نحنُ على علم أنَّ الشباب ينخرطون في المسؤوليّة الثقافيّة في الأردنّ، شبّاب واعٍ مثقّف، على دراية بالموقف الّذي يعيشه، ويعرف ما يريدُ تقديمه وسبل تقدّمه، كيف ترى واقع الثقافة اليوم وقوّة أثر الشباب فيها؟ هل سيؤثّر ذلك في المشهد الثقافيّ القادم؟ ما قراءتك للمستقبل؟

– الشباب هم أساس وعماد أيّ مجتمع، وعلى عاتقهم تقع مسؤوليّات كبيرة جدًّا، في الحالة الأردنيّة 70% من المجتمع

رمضان الرواشدة/ الأردن

الأردنيّ هم من فئة الشباب، بالتالي مَنْ يقود الحراك السياسيّ والاجتماعيّ والفنّيّ والثقافيّ هم هؤلاء الشباب.

إنّ أهمّ مسؤوليّة تقع على عاتقهم هي الارتقاء بمجتمعنا إلى مصافّ الدول المتقدّمة، على المستويات جميعها، ومن ثمّ فإنّ تسلّحهم بالثقافة الأدبيّة والثقافة السياسيّة، والوعي بقضايا الأردنّ وأمّته العربيّة، هو سلاحهم في مواجهة الآخر، وفي مقارعة العالم الّذي لا يحفل بأمّتنا العربيّة وقضاياها القوميّة والوطنيّة.

• هل تمارس دورك الثقافيّ على الصعيد الأردنيّ؟ أم تكتفي بدورك ككاتب فقط؟

– إضافة لدوري ككاتب، فإنّني أحاضر في القضايا السياسيّة الأردنيّة والعربيّة، وفي قضايا تتعلّق بمواقف الإعلام العربيّ والغربيّ من القضايا العربيّة، كما أشارك على عدد من الفضائيّات الأردنيّة والعربيّة في تقديم الرأي والتحليل السياسيّ عن الأحداث المحلّيّة والعربيّة المحيطة بنا، وأوّلها العدوان الصهيونيّ المستمرّ على أهلنا وشعبنا الفلسطينيّ البطل.

كما كنتُ عضوًا في اللجنة الملكيّة الّتي شكّلها جلالة الملك عبد الله الثاني لتحديث المنظومة السياسيّة، وكان من نتاج أعمالها إقرار قانوني الانتخاب والأحزاب السياسيّة، والتعديلات الدستوريّة الأخيرة، وما يرتبط بها من قوانين معنيّة بالتحديث والتطوير والإصلاح السياسيّ.

• كوني كاتبةً ما أزال في بداية الدرب، أرغب في أن يُطلعني رمضان الرواشدة عن نوعيّة قراءاته الّتي حتمًا ستفيدني في مسعايَ الأدبيّ؟

– القراءة أوّلًا وثانيًا وثالثًا هي ما يفيد أيّ كاتب؛ لأنّها تفتح الآفاق على عوالم محلّيّة وعربيّة وعالميّة، وعلى تقنيّات السّرد المتّبعة في الكتابة الحديثة في أربع جهات المعمورة. أوّل الأشياء التراث العربيّ والإسلاميّ الزاخر بالقصص والحكايا، والّتي تزوّد القارئ بمخزون معرفيّ، شريطة ألّا يبقى مأسورًا لنوع واحد من القراءات، بل يتعدّاها إلى تجارب الشعوب الأخرى في العالم، في مجالات الأدب المختلفة.

فالتنويع والتنوّع مفيدٌ جدًا، ومن لديه معرفة بلغات أجنبيّة، يساعده هذا على قراءة أهمّ الأعمال بلغتها الأصليّة، كما أفادتني دراستي للّغة الإنجليزيّة في جامعة اليرموك في قراءة الأدبين الأمريكيّ والبريطانيّ بلغة كُتّابهما.

• لديَّ إيمانٌ بأنّ للشخصيّات الّتي نكتبها أرواحًا أخرى غير تلك الّتي نكتبها ونفرضها عليها، روحُ أيّ شخصيّة الّتي أثّرت بك من بين مجموع ما كتبت؟ كيف؟ ولماذا؟ وهل ترى أنّ الشخصيّات في مختلف الرّوايات الّتي نكتبها تكون روح الكاتب هي الروح الّتي تجمعها بالمطلق؟ وهي الأصل بينها كلّها؟

– تنتهي مهمّة الكاتب بمجرّد نشر عمله الروائيّ أو الأدبيّ، وللرواية أكثر من قراءة، رواية يكتبها الكاتب، ورواية يقرأها القارئ، ورواية يقرأها الناقد. ثمّة شخصيّات في رواياتي ما زلتُ أعتقد أنّها حيّة في المجتمع الأردنيّ، وما زالت في أذهان الناس، وما زلتُ كلّما أتعرّف على شخص جديد يذكّرني بها، وهي شخصيّة عمران الحمراوي في رواية (الحمراويّ)، وشخصيّة عودة المهطوان في رواية (المهطّوان).

والطريف جدًا أنّ كلمة مهطوان بعد نشر روايتي عام 2022 أصبحت متداولة سياسيًا وثقافيًا واجتماعيًا، المهطوان هو الرجل فارع الطول وضخم الجثّة، والشجاع مبدئيًا، وفي أكثر من مناسبة عندما كنت أُعرّف عن نفسي لأشخاص لا أعرفهم مسبقًا، كانوا يقولون بدهشة: «آه.. أنت المهطوان».

• في رأيك أين تسكن الهُويّة الأدبيّة في صاحبها؟ هل في خياله أم في رأسه أم في كيانه ككلّ؟ هل في المدى الشاسع الّذي يعرف احتمالات حدود أو إحداثيّات؟ أم لك نظرة أخرى في هذا؟

– نحن جزء من كون مترامي الأطراف، ما اكتُشِفَ منه لا يعادل ثقب إبرة على قدم فيل ضخم، في عقلنا ثمّة موروث جمعيّ من قديم الأزمان، سمّاه (كارل غوستاف

مسرحية المهطوان

يونغ) «اللاشعور الجمعيّ»، وبعض الحركات والتفكير، وحتّى الألعاب الّتي نلعبها، هي من بقايا موروث جمعيّ قديم لا ندرك كنهه.

لذا فالهُويّة الأدبيّة موجودة في رأس الكاتب، وفي حلمه وخياله، وفي واقعنا المرير البائس، وفي ترامي هذا الكون الشاسع، في لحظةٍ ما، وفي مكانٍ ما، ربّما نختزل كلّ ذلك، في ومضة روائيّة أو قصصيّة، نحن مجرّد أرقام صغيرة في كون كبير، وسنواتنا كلّها وأعمارنا لا تقارن بملايين السنوات من عمر الأرض ومليارات السنوات من عمر الكون الشاسع.

• هل أنتَ دليلُ شخصيّاتك ومرشدها، ومن ثمّ لا موت للمؤلّف بين شخصيّاته؟ أم تتوقّع بأنّك مررتَ في حالة من عدم الوعي، تمكّنَتْ فيها شخصيّاتُكَ من إرشادك لطبيعتها وطبيعة حياتها الّتي تريد؟

– في عدّة مرّات يكون الضمير في الرواية إجمالًا هو ضمير المتكلّم، أو ضمير الغائب، ومرّات يتدخّل ما يسمّى عند النقّاد بالراوي العليم في العمل الروائيّ، لا أعرف! ربّما مزجتُ بينهم في رواياتي، وربّما تدخّل الرّاوي العليم ليحرّك بعض الأحداث، أو يدلّ القارئ على معلومة تفيده وتفتح أمامه طريقًا لفهم الرواية حسب ما يقوله النقّاد، فأنا كنتُ في رواياتي بين هذا وذاك.

• ما هي طقوسك في الكتابة؟ هل تعيد الاشتغال على ما تكتب؟ أم تنشر النسخة الأولى؟

– طقوس الكتابة غير محدّدة عندي، بل متنوّعة، لا يمكن أن أصنّفها كطقس، وأنا أميل إلى أنّ طقوس الكتابة جزء من حكايات رويناها وصدّقناها. شخصيًا كنتُ في السابق أميل إلى الكتابة في ساعات متأخّرة ليلًا، لكنّني وجدتُ نفسي مؤخّرًا أكثر صفاء وراحة عندما أكتب في وقت مبكّر من الصباح، هل هذا طقس؟ أنا لا أسمّيه طقسًا، بل هو كيف ترتاح وأنت تكتب؟

روايتي الجديدة (حكي القرايا) قيد النشر، كنتُ أكتبها وأنجزها، وأدقّقها وأصلحها في أوقات الصباح، عندما أكون مرتاحًا ويكون ذهني صافيًا.

• ما هي النصيحة الأكثر أهمّيّة منك للكُتّاب الشباب الّذين يُصوّبون أعينهم الآن نحو فضاء الأدب؟

– كما قلتُ سابقًا: القراءة.. القراءة أوّلًا وثانيًا وأخيرًا، بغير القراءة لا يمكن للشابّ أن يصقل موهبته، وبغيرها لا يمكن أن يتعرّف على الأساليب القديمة والحديثة، في السّرد الروائيّ أو الحكي القصصيّ كلّما تزوّد الشابّ بمعارف واسعة ومزيج من القراءات في شتّى الأشكال، بما فيها الفلسفة، وعلم النفس، والمنطق، والسّياسة، وعلم الاجتماع، كانت المحصّلة إيجابيّة في كلّ ما يكتب.

- هذه الرّوحُ أرضٌ ..... لطفي الشّابي
- نقصٌ حادٌّ بالملامح ..... عزيز عواملة
- أماني ..... هدى قاسم
- المعطف ..... تبارك الياسين
- لم تنتهِ بعدُ ..... معتصم النداف
- الزّائرة ..... هدى الأحمد
- أنت.. أنت ..... سهير الرمحي

هذه الرّوحُ أرضٌ

لطفي الشّابي

(1)

«هـذه الرّوحُ أرضٌ».
يقولُ لخطوِ السّحابِ المزارعُ
إنّما الرّوحُ أرضٌ
تُحِبُّ هُبوبَ ضياكَ على جسمِها
تُحِبُّ ابتهالاتِ رُسلِ السّماء.
على حجرٍ نابتٍ في ضفافِ الممرِّ الطّويل
إلى ما وراءَ الظّلال
يحُطُّ النّدى
وحينَ يُلملمُ لحظُ المزارعِ فيضَ النّدى
ريشةً ريشةً
من جناحِ الصّباحِ
تُعانِقُه الأرضُ.
هـذه الأرضُ روحٌ، يقول
والنّدى شهوةُ الأرضِ، مِحراثُها..
والضّيا بذرةٌ ظامئةٌ في رُؤى هـذه اللّيلةِ الهاربة
هذه الأرضُ روحٌ!

(2)

الحديقةُ الآنَ دونَ سياجٍ

كما تنزعُ اليدُ قيْدَ السّوارِ إذا ضاقَ عنها

تقُدُّ الحديقةُ طوقَ السّياج

وتزرعُهُ في المدى غيمةً غاربة

ثمّ ترنو

لبوّابةٍ تقفُ الآنَ كالشّاهدة

للرّتاجِ المؤثّثِ أوقاتَه الخاويةَ بالحنينِ

يُنادي الأياديَ التي عبرَتْ

ثمّ إذ لا تُجيبُ الأيادي، يُردّدُ حيرتَهُ الصّامتة:

أينَ أصواتُكم أيّها العابرون؟

نبضُ إيقاعِ أقدامِكم، وسعُ ضوءِ الأنامِلِ في هدأةِ اللّيلةِ المائتة

أينَ ظلُّ الأيادي؟

وأينَ المزارع؟

(3)

والمزارعُ في ضوءِ عُزلتِهِ السّاكنةِ يرتقي الذّكريات

تذكّرَ أنّهُ ربّما كانَ ينسى وهو يبني السّياجَ

أن ينزِعَ كفّهُ عن ظلالِ السّياج

عن صخرةٍ غافيةٍ في جدارِ السّياجِ، ربّما..

ربّما كان ينسى

أن يخلعَ الرّجلَ من ظلالِ الجدارِ

كانَ ينسى أن يمسَحَ دِفّءَ أهزوجةٍ خلّفَتْها الأنامل

ذكرى لقاءٍ، كلمعِ السّرابِ، على شفةٍ خاشعةٍ في وقارِ الخشب!

والمزارعُ وهو ينسى ارتعاشةً بدمعتِهِ فوقَ ثغرِ الرّتاجِ

تذكّرَ عينيه تختزنان ضياءَ الفصولِ

فضمَّ صداها وخبّأَ ما فاضَ من وشوشاتِ سناها

على مَهَلٍ

في نديّ التّراب

وارتدى ظلَّهُ

ثمّ غاب.

(4)

يُغمغِمُ حجرٌ نسيَ أن يطيرَ مع الرّاحلين:

هل تطيرُ الأناملُ مثلَ الحجارةِ إذ ينقضي عُمرُ هذا السّياج؟

ورِجلُ المُزارعِ هل تغتذيها الظّلال؟

وعينُه، أنّى هيَ الآن؟

هل صارتِ العينُ للأرضِ عينًا

وصارَ المدى ضوءَها

حينَ غابَ السّياج؟

(5)

متى تنجلي عن سماءِ الحكايةِ غيماتُها والظّلال؟

متى تولَدُ الأمنياتُ؟

متى تصدقُ الكلماتُ؟

متى تُوقَدُ في المدى الرّعشاتُ؟

ويولَدُ وهجُ الخُطى الظّامئة

في ذُرى كلِّ دربٍ مُحال؟

(6)

عندَ الظّهيرة

تُغنّي الحجارةُ في قلبِ طيفِ السّياج:

نحنُ حدودُ الحديقةِ إذ تفقدُ الأرضُ أطرافَها!

وهذي الحديقةُ، لولا السّياجُ،

فضاءٌ خَلِيٌّ وذاتٌ خواء!

قُبيلَ المساءِ، يقولُ الخشب:

أنا ثغْرُ هذا الكيانِ الكثيف

ولولا خُطى العابرينَ وأصواتُهم

لكانَ هباء.

بُعيدَ المساء

يَحِنُّ الرّتاجُ إلى لمسةٍ عابرة
يُناجي الأياديَ التي حرّكَتْه:
متى يعبُرُ الدّفءُ هذا الجسد؟!
متى يُشعِلُ الضّوءُ هذا الخَلِيَّ
فيبعثُ فيه دماءَ الأبد؟
في هدأةِ اللّيلِ، تهتاجُ روحٌ:
أنا رهنُ هذا الحنينِ النّسّي
تتهُّدُ بذرٍ وأحلامُ أرضٍ
وفي القلبِ طيرٌ يهُزُّ الجناحَ إلى واحةٍ في مدارِ النّدى
فأنّى الخلاصُ؟
وهذا الجِدارُ، وهذا الرّتاجُ وهذا الخشب؟
وإذ تسكنُ الرّوحُ بعدَ النّشيجِ
تنامُ العواصفُ في حُلمِها
وتنتظرُ الموعدَ الملتهب.

(7)

هذه الرّوحُ ريحُ..
والرّيحُ كالرّوحِ لا تستريحُ
والنّهرُ والغيمُ حتّى المطر
يحِنُّ إلى ضفّةٍ ظامئةٍ
فانشطر!
يا أيّها المُترحّلُ بينَ الجهاتِ
وتحتَ التّرابِ
وفوقَ الذّرى
أيا أيّها القلقُ المُستهامُ
أيا ماءَ كلِّ صلاةٍ تُغذّي المطر
والمطرُ – لو تنطقُ الرّوحُ – أهزوجةُ الرّوحِ
بذرتُها المُشتهاةُ!
والشّهوةُ فيضُ إشراقةٍ
بيضاءَ تغفو
عاليةٍ عن خطى العاشقين.

(8)

لا شيءَ يحجُبُ عن فكرتي كلَّ هذا الصّفاء
يقول المُزارعُ
لا شيء يحجبُ عن روحي الآن
صدى النّشوةِ الخالدة
سرّ هذا الغيابِ المُضيء!

(9)

قُبيلَ تنهّدِ أنفاسِ فجرٍ
والفجرُ محرابُ روح
يُطِلُّ المزارعُ من ثغرِ ذاكَ الأثيرِ الفصيح
تهُزُّ العناصرُ أورادَها
فيزهو على راحتيه الغناءُ:
هذه الأرضُ روحٌ!
هذه الرّوحُ أرضٌ!

نقصٌ حادٌّ بالملامح

عزيز عواملة

النّاسُ هنا بالزّحامِ يا نِهاد
لهم رائحةُ احتراقٍ مُتشابهةٌ كأنّهم
يمشونَ بأجسادٍ مطّاطيّةٍ كـ(الكاوتشوك)، كأنّهم
لم يستحمّوا منذ أعوام!
والزّرعُ أيضًا يشبهُ حالةً من الهجرةِ والشّتات
والعصافيرُ تنقرُ بحقدٍ وجهِ الرّغيفِ اليابسِ
لينقلبَ على بطنِه.
في هذا الزّحامِ يا أخي أرى استنساخًا
مُفرطًا بالأحاديثِ والأحذيةِ... أرى طُرقًا وممرّاتٍ
متشابهةً، أسمعُ فكرةً تحترقُ من ملامحِ
أحدِهم!

نسيتُ أن أُخبرَكَ أنّني أشكو منذُ مدّةٍ بنقصٍ
حادٍّ بالملامحِ، وأنّني ما زلتُ أقفُ بالسّادسِ والعشرين
من كلِّ شهرٍ خلفَ طابورِ دواءٍ طويلٍ!
لم أعُدْ أسمعُ من النّافذةِ سوى صوتِ شجارٍ ولا أرى
الأطفالَ كما في السّابقِ، كأنّهم يمشونَ بلاصقٍ شريطيٍّ
على أفواههم!
أصبحَتِ الآنَ فكرة تشيخُ عزباء بلا نظريات
فكرة تفتقرُ للضّوءِ، وتأخذُ شكلَ الذّوبانِ داخلَ قميصٍ
وجوربينِ مختلفينِ وحذاءٍ تدوسُ بداخلِهِ أقدامي
لا أنا.
نسيتُ كم نسيتُ أن أُخبرَكَ أنّني بحثتُ

لكَ عن فتاةٍ لا تأكلُ الملامحَ ولا تشربُ ماءَ
القلب، فتاة فُكاهيّة وكئيبة تُشبهُ الوطن!
تلُمُّنا سويةً لأنسى قليلًا أنّني أمشي على الشّوارع
بنصفِ كثافةِ ظِلٍّ ونصفِ هُويّةٍ
وبلا ملامح!
نسيتُ أن أخبرَكَ أنّني «صِفرٌ» يلتصقُ
بأرقامٍ طويلةٍ ومُعقّدةٍ، صِفرٌ لا يعرفُ متى الانطلاق؟
وإلى أين؟!
صفرٌ لا يكُفُّ عن طرحِ نفسِه معَ العدم
وجمعِ ما بداخلِهِ مع اللاشيء
صفرٌ لا يشبهُ ما بالوطنِ من كثافةٍ وزحام.
النّاسُ هُنا وصوليّونَ يا نِهاد، وأكثرُ ما يهُمُّهم
هو ترفُ امتلاكِ الأماكنِ والأزمنةِ
ترفُ التقاطِ
صورةٍ، وترفُ التقاطِ المشاعرِ المُزيّفة
للوقوفِ مُجدّداً على مجدٍ زائل.
أيملكُ الشّعورُ أكثرَ من حذاءٍ في عُمرِ الإنسانِ
للزّحفِ به مُتآكلًا ومُهترئًا؟
لو أنّكَ ترى بالشّعرِ ما أراه يا أخي، وتشعرُ باللّغةِ
كما أشعرُ بها أنا أيضًا
أنا لا ألتقطُ الشّعورَ، ولكن بداخلي ترفٌ لامتلاكِ
الذّاكرة، ترفٌ لامتلاكِ الأخيلة، ترفُ الوقوفِ بثلاثِ
أقدامٍ مُتباعدة!
ترفُ الطّمأنينةِ كطفلٍ ينامُ في حضنِ والدِهِ
المُتعَبِ، ويشُمُّ رائحةَ الأملِ من تجاعيدِ
يديه!
النّاسُ هنا وصوليّونَ، وأنا آخِرُ مَنْ يصلُ وأوّلُ مَنْ
يقفُ، أنا بالمُنتصَفِ تمامًا، أكبرُ وأتورّمُ داخلَ
فقاعتي.
أهرُشُ هذا اليقينَ كمَنْ أصابَهُ الجَربُ في حدسِه
وأفتعلُ حكّةً في باطنِ كفّي بانتظارِ أن يُصافِحَني
أحد.
أنا أصِلُ ولا أصِلُ، أركضُ كفأرٍ يُلاحقُ ذيلَهُ من بين
القُمامةِ، ويجرحُهُ زجاجُ الوهمِ ويُحبَسُ
داخلَ قنينةٍ فارغة!
كلُّ ما بالأمرِ أنّني أُحبُّكَ، أُحبُّ ضحكتَكَ ولا أطيقُ
الجلوسَ وحدي لأكتبَ هذا الغياب.
أُحبُّ أن أُسدِّدَ سؤالًا لم أسألْهُ لنفسي كلَّ صباح
ولا يمتصّه الفراغ.
أنا الثّرثارُ في بلدٍ من الصُمِّ، متى تهدأُ في رأسي
الأحاديثُ وأستيقظُ بلا ذاكرة؟

أماني

هدى قاسم

كانت المسافةُ بينهما متباعدةً جدًّا، بالرغم من جلوسهما على نفس الطاولة، وبعدَ صمتٍ طويلٍ ذابت المسافةَ حين عاتبَتْها؛ لأنَّها لم تُعلِّقْ على منشورٍ قد وضعَتْه على حائط (الفيسبوك)، وضعت فنجان قهوتها الذي كانت تُطيلُ النّظرَ إليه، ثم قالت:

ما زلتِ تؤمنينَ بأنَّ الأقنعة ليست ضروريّةً، وأنَّ مواقعَ الاتصال خيطٌ يربطنا بالواقع ولا يفصلنا عنه، صدّقي ما عاد العيشُ في هذه القرية مُمكِنًا، قد أحدث الإنترنتُ فيها خلخلةً، وصار الجميعُ متّهمين، ابن عمّتي قُبِضَ عليه لمنشورٍ تناول فيه سوء حالة التعليم، صديقتي المُقرَّبة تعرَّضت لضربٍ مُبرحٍ؛ لأنَّ أخاها الذي يصغرها بخمس سنين، اكتشف أنَّ لها حسابًا تحت اسمٍ مستعارٍ تنشرُ فيه خواطرها وقصصها، فهي من المتميّزات في الثانوية، وكان يمكن أن تصبح كاتبةَ قصّةٍ كبيرة.

أهلُ القرية فقدوا صلاتهم ببعضهم بعضًا، فهذا جارنا أبو حسن فقد ساقه بسبب السكري، ولم يزره أحد، وجارتنا علياء فقدت ابنها بحادث سير في نفس الوقت الذي أُقيم فيه عِرسٌ لجاسر ابن المختار، لقد تغيّروا وتغيّرت العادات، فقدوا ثقتهم ببعضهم بعضًا، ما عدتُ أطيق الحياة هنا.

- إلى أين ستذهبين؟

- إلى المدينة، فهناك لا يتدخّلون في تصرّفاتك، ولا يُقيّدون حرّيّتك.

- ليس صحيحًا فـ(الفيسبوك) هنا لا يختلف عن فيسبوك المدينة المراقبة في كلّ مكان.

- لكن على الأقل لا يحاسبونكِ على منشور جريء تتحدّثين فيه عن الحُبِّ مثلًا.

- الفوضى في كلّ مكان يا صديقتي، والجميع يعيش حالةً من المثاليّة على حائط الفيسبوك، والواقع مُزرٍ.

- نعم صحيح، لذا سأتوارى خلف اسم (جورية)، وسأنسى أنَّ اسمي الحقيقيّ (أماني)، وسأبقى طوال الوقت أتمنّى شيئًا لن يحدث باسم جورية، أنشر ما أشاء دون رقيب أو حساب لأحد.

تخيّلي يا صديقتي بأنَّ كتابي (جديلة للبيع) يتصدّر قائمة الكتب الأكثر مبيعًا، ولكن لا أحد يعرف اسمي الحقيقيّ، عالَم وهميّ كنهرٍ جرفَ كلَّ الوقائع بطريقه.

المعطف

تبارك الياسين

أزالت الصورةَ ذات الإطار البلاستيكيّ عن الحائط الذي بجانب النافذة، وعلّقت على المسمار الصَّدِئ علّاقةً خشبيّةً تحمل معطفًا رماديًا فاخرًا، مسّدته بيديها، عبثَتْ قليلًا بأزراره العاجيّة، ووقفَتْ تتأمّله من بعيد.

حملته منذ الصباح الباكر بين يديها في كيسٍ كبيرٍ من بيت مخدومتها، تسير في الشوارع كأنّها تحملُ كنزًا، تشُدُّه إليها بقوةٍ؛ خوفًا من أن يجذبه أحدُ اللصوص وينتشله من بين يديها. لا مناسبة اليوم لتهديه إليه، ولن تنتظرَ عيد ميلاده في شهر شباط، فالشتاء قارس في كانون، ولا بُدّ من معطفٍ يقيه بردَ هذا الشتاء، سيحبّه بكلّ تأكيد مثلما أحبّته، ما زالت رائحةُ عطرِ زوج سيّدتها عليه، عطر نفّاذ تسلّل إلى يديها.

مضى معظم اليوم بين ترتيب بيتها الصغير ذي الغرفتين الضّيّقتين، ومطبخ بحجم قبضة الكفّ، والوقوف أمام النافذة، نافذتها الصغيرة ذات السّتارة القرمزيّة، تنتظر عودة زوجها الذي لم يرغب بعملها كخادمة، لذلك تركَتِ العملَ بعد زواجها منه بأشهر، لكنّها كانت تُحِبُّ عملها، ليس لأنّها تحبُّ هذا العمل الشاقّ، بل رغبة منها في أن تمضي أكبر وقت في ذلك المنزل الكبير، تتنقل بحرّيّةٍ بين غرفه الواسعة، تتأمّل اللّوحات الكبيرة والتّحف الجميلة، تمارس دور السّيّدة لساعات في خيالها.

كان اتّصالُ السّيّدة بالأمس بمثابة طوق نجاة لها، لم تُصدّق أذناها ما قالَتْهُ لها: «أريد أن أشربَ معك فنجان قهوة». خرجَتْ صباحًا بكامل أناقتها، فستان صوفيّ بُنّيّ اللون، وحزام عريض يتوسّط خصرها، ربطت شعرها بمنديل ملوّن، وقرطين نحاسيّين يتأرجحان حول عنقها العاري.

تناولت فنجان القهوة بكوب فخاريّ كبير، بينما الحزن يُغطّي وجه سيّدتها، لم تفهم ما الذي تريده منها، لم تنطق بكلمة واحدة، فقط ظلّت تنتظر ما تريده، وهي تنظر إلى فنجان قهوتها، تغضّ النظر عن وجه سيّدتها التي بدَتْ هَرِمةً جدًا، وظهرت خطوط رفيعة حول فمها، حتى نطقَتْ:

- أريدكِ أن تُنظّفي غرفة النوم جيّدًا.

بدت الغرفةُ كأنَّ قطًا بريًّا قد استولى عليها، زجاج مكسور، والسرير قد تمّ نهشه، ومعطف ملقى على الأرض مثل جثة هامدة... أنهتْ ترتيب الغرفة، وحملت بين يديها المعطف، وما إن رأته سيّدتها حتى صرختْ: «ارميه في القُمامة، تخلّصي منه». أومأت بسعادة، وضعته بكيس أنيق وحملته معها.

دخلَ زوجها البيت، قفزَتْ فرحةً تشُدُّه من يده ليرى ما جلبته له، مدَّ يده إلى المعطف لتبعدها بحزم:

- يدك متّسخة بالشّحم.

نظرته الباردة أثلجت ابتسامتها

- هدية منّي لك، أليس جميلًا؟

لم يُجبْ، أومأ برأسه وحسب، وانسحب إلى الحمّام ليغتسل، وبعد تناول الطّعام تمدّد بالقرب من المدفأة.

- كيفَ كانَ يومُكِ؟

- مثل أي يوم، لن أعملَ لديها، كانت تريدُ إعطائي هذا المعطف لا أكثر.

قالَتْها ليطمئنَّ قلبه.

نامت زوجته بينما بقي هو مستيقظًا، تأمّل زوجته وهي نائمة، وعلى وجهه ابتسامة ساخرة، يعلم في قرارة نفسه أنَّ زوجته ما زالت لديها تلك الرغبة بالعمل لدى السيّدة، ويعلم أنّها تظُنُّ نفسها وليدة تلك الطبقة المخمليّة، لم تقتنع يومًا بأنَّها ابنة هذا الحيّ الفقير، حدّق في الجدار ليبادله المعطف نظراته بشراسة، ويقول له:

- انظر أين أنا الآن؟ في مكان مُقرف، بيت يختنق برائحة الرّطوبة، وعفونة على الحائط قد تُشقّق هذا القماش، لا أدري لِمَ وصلتُ إلى هنا؟ أيّ جريمةٍ ارتُكِبَتْ لأُرمى مثل قطعة بالية؟ كنتُ مزهوًا في يد من صنعني، ومن ثمّ وجدتُ نفسي متأنّقًا خلف زجاج المحلّ، أنظر بعين الشّفقة إلى هؤلاء الذين يشهقون خلف الزّجاج عندما يلوح لهم السّعر، أنا أنتمي إلى هؤلاء الذين يُقدّرون نعمة الحياة بكلّ ترفها.

- يبدو أنَّ السّيّد وجد ما هو أفضل منك، لذلك رماك بكلّ بساطة.

قال وهو يضحك؛ لينتفض المعطفُ وتهتزّ أزراره العاجيّة.

- ليس هو، بل زوجته من ألقت بي... أُشفق على نفسي، أريد أن ينتهيَ هذا الكابوس، هل تدرك معنى أن تلمسك يدان خشنتان متّسختان بالشّحم، أو أن تفوح من جسد الذي سيرتديني رائحة المحروقات؟ أيّ بطانةٍ ستحتمل كلّ هذا القرف؟ أيّ نهايةٍ تلك؟

- هل تظُنُّ أنّي سعيدٌ باقتنائك؟ حتى إنّني لا أعرف كيف سأرتديك؟ وأين؟ منذ أن رأيتك وأنا أودّ لو ألقيك من النافذة، وجودك هنا مُعلّقًا أمامي يُشعرني بعجزي، فأنا أعلم كم عانت زوجتي في بيت مخدومتها، كم ساعةٍ من العمل الشاقّ كلّفها هذا المعطف!

المعطف بابتسامة خبيثة:

- ربّما لم تكن ساعات عمل شاقّة، وإنما ساعات حميمة، هاهاها!

انقضّ الرجل على المعطف، وبغضبٍ فتح النافذة وألقاه منها، والمعطف يصرخ ويصيح بقوة... استيقظت زوجته على صراخه.

- كابوس؟

- عودي للنوم.

قام من فراشه واتّجه حيثُ المعطفُ مُعلّقٌ في مكانه، اقترب من المعطف، لمسه، كانت هناك بقعة من أحمر شفاه التصقَتْ به كأنّها شامة، دسّ أنفه في الياقة... رائحة امرأة امتزجت برائحة عطر رجاليّ، ابتسم وقال: «يا لك من معطف محتال!». يرتمي المعطف عليه محتضنًا جسده وهو يبكي.

لم تنتهِ بعدُ

معتصم النداف

ما إن بلغَتِ الرّابعةَ من عمرِها، حتى تفتّحت عيناها على مصيرٍ يكادُ يعصفُ بها ويأخذها نحو المجهول الذي لا تعلم خباياه، مصير أشبه بليلٍ حالكِ الظلام، تُصارع به حياتها البائسة بعدما أيقنَتْ جيّدًا أنَّها مُحاطة بكلِّ أسبابِ الغيابِ المؤلم، فالموت غيَّب أمّها وأبعدها عنها؛ لتجد نفسها - وبعد مرور أعوام من عمرها - تعيش في منزل والدها المتواضع بحديقته الخالية من الورود، مع زوجة أبيها القاسيّة والظّالمة.

تبدأ (لبنى) في معاناتها بسوء معاملة زوجة الأب، التي لم تعرف طريقًا للرحمة ولم تسمع بها؛ لتمارس أبشع أشكال التعذيب والقهر والقسوة، فالخطأ يقابله ضربٌ وعقابٌ، فلا توجيه ولا إرشاد، لطالما كانت العصا حاضرةً، والكيّ بالنار ينتظر جسدها المليء بآثاره، الذي لا يمانع أن يدفع ثمن زلّاتها، وما كان يؤلمها ويضيق منه صدرها أكثر من القسوة نفسها، عبارة زوجة الأب عندما تقول لأبيها:

- لا تخشَ على لبنى، فهي كابنتي، وأحبّها كثيرًا.

فيردّ الزوج: «نعم عزيزتي، أعلم جيّدًا هذا، فأنتِ تعلمين كم أحبّ لبنى، ولا أظنّك إلّا أمًّا لها».

- لا عليك، اتركْ أمرَ رعايتها لي، وأنا حريصةٌ عليها.

لينتهي حوار الأب وزوجته، وكأنَّ لبنى تريد إنكار ما تكلّمَتْ به الزوجة، ولكن هيهات هيهات، فالخوف يمنعها، وعيناها تنظر لوالدها، وقلبها يحترق، وبصفنة طويلة في عالمها الطفوليّ البريء، تتمنّى لو أنَّها تُفصح بما تعانيه ويفتضح أمرها، وسرعان ما تنتبه الزوجة فتقول بصوتٍ فيه تحذير:

- بِمَ تُفكّرين يا لبنى؟

- لا شيء، لا شيء، لا شيء.

زوجة الأب: «هيا اذهبي لنومك، فالوقت تأخّر، الساعة العاشرة والربع».

لبنى: «لا أريد أن أنام، أريد أن أبقى مع أبي».

زوجة الأب بنظرة أشدّ من الصّاعقة، فيرتجف قلب لبنى خوفًا، وبحركة اهتزاز برأسها من الأعلى إلى الأسفل، تدلّ على الخيبة والضعف، وتعلن انصياعها الكامل لها واستلامها لأمرها.

وكالمعتاد تستيقظ لبنى من نومها في الصّباح الباكر كالفراشة البيضاء، التي تجهّزت بأجنحتها الزاهية وجمالها البريء؛ لتطيرَ في أرجاء البيت مستجيبةً لأوامر الزوجة بأشغال البيت الشاقّة ونظافته، وكنس الحديقة المتّسخة بما لا يتلاءم وقدرتها، حتى ينال التعب من جسدها، فلا أحدَ يشعر بها، أحمال ثقيلة وجهد عظيم يقع على عاتقها دون أن يعلم والدها بما تتعرّض، فبالكاد تراه، فالنوم يداهمها قبل حضوره، فبمجرّد أن تقترب الساعة من التاسعة مساءً، ما تلبث إلّا لحظات قليلة حتى يُغيّبها النوم.

وبعد معاناةٍ طويلةٍ استمرّت أيامًا وشهورًا، أثقلت عليها بالقسوة ومرارة العيش من ضرب وتجويع وعقاب مستمرّ؛ لتقرّر لبنى بكامل براءتها أن تواجه القدر، وتُبلغ أباها بما تتعرّض له، وتتحدّى قرار زوجة الأب بعدم النوم المُبكّر، وانتظار أبيها إلى أن يعود، لعلّه الخلاص الوحيد من القهر، وخروجها من رحم المعاناة، وبالفعل ذهبت لتتظاهر بالنوم، وأغمضت عينيها كيلا يُكشَفَ أمرُها، لكنَّ النّعاسَ غلبها بعدما جاءها خِلسةً وقتل حُلمها، حتى النوم لم يشفق عليها ولم ينتصر لها.

استيقظَتْ في الصّباح الباكر، فأحسّتْ بقهرٍ شديدٍ بأنَّ النوم غلبها، فبكت بمرارةٍ، وكرهت النوم الذي يشبه زوجة الأب، والذي عانقها بلا رحمة، فقرّرت ألّا تيأسَ، وأن تعاودَ ما أجزمت عليه مرّةً أخرى، ولكن هذه المرة بإصرار وحزم وقوة؛ لتواجهَ بطفولتها وبراءتها حملين ثقيلين: النوم وزوجة الأب.

وما إن حلَّ المساءُ حتى استقرّت في فراشها، تُغمض عينيها تارةً، وتفتحهما تارةً أخرى بحذرٍ شديدٍ؛ خوفَ أن يُداهمها كابوس النوم، وبرغم التعب أبدت مقاومةً، كأنَّها تُصارع وحشًا قاتلًا لتصدَّه وتُبعدَه عن حقل عينيها بما أوتيت من قوة، ما لبثَتْ طويلًا حتى سمعت قرع الجرس، وبصوت يكاد يُسمع تسترق السّمع بحوار أبيها مع زوجته:

- أهلًا بك.

- هل نامت لبنى؟

- نعم نامت، ولم تستطع انتظارك طويلًا.

وما هي إلّا لحظات حتى انتفضت لبنى من فراشها كالبرق إذا حلَّ، فهي لحظة الخلاص من ألم يعانقها ويكاد لا ينفك منها، ترتجف وتبكي وتصرخ.

نظر الأب إليها مُردّدًا: «ما بكِ؟ ولماذا تبكين؟». فتنفجر بالشكوى بما تعانيه من قسوة وظلم، وبما يحلُّ بها من لعنة الصباح وقسوة النهار، ببكاء شديد وحرقة تسكن القلب تتحدّث لأبيها عمّا يدور في غيابه، كاشفةً عن آثار التعذيب الذي سكن جسدها.

وقف الأب وقفة المذهول يسمع من ابنته بصدرٍ رحبٍ دونَ ملل أو كلل، في هذه الأثناء تحاول الزوجةُ تداركَ الموقف حتى تخرجَ بحيلةٍ تُنهي ما جاءت به لبنى، أمسك الأب بيد لبنى وقال: «لا تخافي، منذ اليوم لن تتعرّضي للضرب، ولن يؤذيَكِ أحدٌ، سينتهي كلّ شيء، سينتهي كلّ شيء».

ترفع لبنى رأسها مؤذنةً بالخلاص والتّحرّر من قيود زوجة الأب القاسيّة وسلطتها؛ لتنفضَ عن جسدها أشكال التعذيب المختلفة، وشبح الخوف الذي يعانقها، مُعلنةً انتصارها. الأب بصوتٍ يشبه الصّاعقةَ، بنداءٍ يُعلن خلاص الظّلم والانتصار؛ لتنتهيَ مرحلةٌ من مراحل حياة لبنى، لكنَّ حياتها لم تنتهِ بعد.

الزّائرة

هدى الأحمد

(خزنة) لم تكن تهتمُّ بما تلبس، يكفي أن يسترَ جسدَها ثوبُها الأسود الذي ترتديه، كانت تراه جميلًا، فهو ينعكس على لون بشرتها البيضاء، فتبدو كقمرٍ في الليل، ودومًا تحرص على أن يكون نظيفًا مُلوّنًا، أو فيه أيّ نقش، كانت تعلم أنَّ أمَّها لا تملك ثمن الخيوط وأجرة التطريز، لذا لم تُفكّر يومًا في ثوب مُطرَّز، واكتفت بلون غطاء الرأس الذي يبدو مُلوَّنًا، فيضيف جمالًا على ما ترتدي، إلى أن جاءت زائرةٌ إلى القبيلة، كانت تبدو كملكة تلبس أفخرَ الثياب وكثيرًا من المجوهرات، حيث خرجَتْ نساءُ القبيلة ورجالها لاستقبالها.

على غير موعدٍ جاءت الزائرة، يقولون إنَّها زوجة رجل مهمّ في المدينة، كان الجوّ لطيفًا، وجميع الرجال كانوا مجتمعين في بيت الشيخ حين جاء دركيٌّ من المخفر الشرقيّ؛ ليشاركَ في استقبال زوجة الرّجل المهمّ، التي جاءت في زيارة استجماميّة؛ لترى كيف يعيش أهل البادية، وربما لتلتقطَ بعض الصور، حيث كان يرافقها رجلٌ يحملُ صندوقًا عجيبًا يُستعمل للتصوير.

(خزنة) كانت تحمل قِربتها على رأسها حين علمت بهذه الزيارة، فالحركة كثيرة بين الخيام، وحرصَ الرجالُ على أن تبدوَ نساؤهم في أحسن شكلٍ، وحرصوا على طهو الطعام الكثير، فقد سمعت أنّها قادمة مع لفيفٍ من المعاونات ومن الرجال لمرافقتها وحراستها.

بدأت نساء العشيرة بتحضير ثوب مميّز لها، فمنذ أسبوعين حين أبلغ رئيس المخفر رغبة السيدة بزيارة العشيرة، ونساء القرية يعملنَ على إنجاز الثوب قبل

وصولها، فهذه الزيارة تتطلّب كثيرًا من التحضيرات، الأمر الذي شاركَتْ فيه النساء، فهذه أخذت أحد الأكمام تُطرّزها، وتلك العرض، وهكذا تمَّ تقسيم الثوب وتجهيزه بسرعة كبيرة، كلّ امرأة منهن ترغب في إظهار تفوّقها، وترغب في تبييض وجه الشيخ كما طلب عندما اجتمع بهن: «هاي مَرة غريبة، ودي تبيضن وجهي عندها يا بنات».

أغدق عليهن العطاء، وكافأهن مكافأةً كبيرةً، فقد قيل إنَّه كان لديه صداقة قديمة مع زوجها، وأنّه أحضر الطبيب الذي أنقذ حياته يومًا ما، عندما نُقِلَ إلى مستشفى في المدينة، وكعادة البدوي ما زال يحمل له معروفه القديم.

جاءت السّيّارة من بعيد، استقبلها الأولاد وبدأوا بالجري مع السّيّارة، فالسّيّارةُ كانت تبدو شيئًا غريبًا، نادرًا ما يرونها إلّا عندما يزورهم الدّرك، إنّها تبدو شيئًا مُغريًا للعب معه، يركضون حولها في محاولةٍ لمعرفة مَنْ سيسبقها، بالتأكيد كان الأولاد يركضون حول السّيّارة ويُثيرون كثيرًا من الجلبة والصّوت، ويقرعون بعض قطع الحديد، وحين توقّفت السّيّارة، وترجّلت منها الزّائرة المهمّة، كانت (خزنة) تراقب من بعيد.

النساء استقبلنَ الغريبة بالزغاريد والأهازيج، كانت تبدو سعيدةً جدًا، وتنظر مندهشةً إلى الأثواب المُطّرزة بكلّ جمال وإتقان في العمل. أصرّت على ارتداء ثوب يشبه ثياب نساء العشيرة، الذي زادها جمالًا، فهي طويلة أو هكذا رأتها خزنة، وما زاد من دهشة خزنة هو حذاء السّيّدة المُطرَّز، يبدو كأنّه من قماشٍ ألوانه زاهية، لم ترَ مثله قبل ذلك اليوم، قالت في نفسها: «حذاء مُطرّز!».

هي لم تزر المدينة لكي تعرف ماذا قد تحتوي دكاكينها التي يصفها أبوها بالكثيرة، ويصفُ المدنيّين الذين يهتمّون كثيرًا بالألوان، ويحبّون القماش المُلوَّن الذي لم تكن خزنة تستطيع أن تلبسه؛ لأنّها مشغولة في أمور أهمّ من تبديل واختيار ملابسها.

الحذاء كان تحفةً فنيّةً، عندما دخلت الغريبة المكان المُخصّص لها للجلوس والحديث مع نساء القبيلة، والتصوير والكثير من السعادة، خلعت السّيّدة حذاءها، فغافلت خزنة الجميع ودسّتْ رِجْلها فيه، فما كان من الجَدّة (ترفة) إلّا أن نَهَرَتْها: «حذاء السّيّدة يا خزنة.. إياكِ.. عيب ما يصير».

كانت خزنة تشعر بالفضول والغضب، الفضول لتعرف كيف تتنعل تلك الغريبةُ هذا الحذاء الجميل، والغضب لأنّه لم يُسمَحْ لها أن تتنعله وتركض به وتُجرِّبه، غادرت خزنة المكان وهي تلتفتُ للخلف بنظرةٍ حزينةٍ.

كان لقاءً حميميًا، فالشيخ التقى صديقه الذي جاء للقائه بعد كلّ تلك المدة، أمّا زوجته فقد قضت وقتًا مُمتعًا برفقة النساء، وفي المساء قرّرَ الضيفان أنَّ الوقتَ قد حان للعودة، لكنَّ حذاء الضّيفة قد اختفى! خزنة كانت المُتّهمة الأولى، فناداها أبوها: «خزنة.. خزنة، تعرفين وين حذاء الغريبة؟». كانت تفركُ بعينيها: «لا ما أعرف وعادَتْ للنوم؟»، بينما لم يجدوه أينما بحثوا، فما كان منها إلّا أن لبسَتْ حذاءً كان لزوجة الشّيخ وغادرت.

في الصّباح التالي كانت خزنة تختال بحذاء الغريبة في البيت الذي أخفته، ما إن رأت أمّها الحذاء حتى لطمتها بشدّة، فوقعت من شدّة اللّطمة.

– منذُ متى تسرقين يا خزنة؟

– لم أسرقه.

– ماذا تُسمّين هذا؟

لم تُردْ أن تُخبِرَ أحدًا، ولم تُخبِرْ أحدًا أبدًا أنَّ الزائرة هي مَنْ أعطتها إياه، عندما وجدَتْ أنَّها أحبَّتْهُ، حيث إنَّهم أصرّوا أنّها أضاعته، ويجب إرجاعه، وأنّها كانت تتصرّفُ بلطف، ولم يعرف أحدٌ أبدًا بسرّ هدية الغريبة لخزنة التي اتُّهِمَتْ زورًا.

ظلَّتْ تلك اللّطمةُ في وجهها علامةً كبيرةً على الظّلم، فقرّرت بينها وبين نفسها ألّا تلطمَ ابنتها، وألّا تظلمَها، وستُصدِّقها عندما تقسم، ولم تظهر براءة خزنة إلّا عندما شهدت زوجةُ الشّيخ أنَّ الزائرة قدَّمَتْهُ هديةً لخزنة بعد أن وعدتها ألّا تتحدّثَ بالأمر حتى تغادر.

أنت.. أنت

سهير الرمحي

رأيتُهما معًا، عينين وقلبين على وترٍ دافئٍ من حُبٍّ وتناغم... جلسا على مقعد في الحديقة الخلفيّة، كانا يبتسمان، هو ينظر إليها كأنّها حوريّةٌ من حوريّات البحر اللواتي جنح بهنَّ الموجُ إلى شاطئٍ من ترقّبٍ وانتظار.

كان الكهلُ يعشق نصفيها: البشريّ المُنعش الفاتن السّاحر، والبحريّ المُدهش المُبرق المُشرق السّحريّ، وكنتُ أنا هناك أسير وحدي، تموج بي مشاعري المائجة الهائجة، تائهةً كنتُ، وكم أحسستُ أنَّ مشاعري كالفراشات تلتصق بما يقتلها.

كثيرةٌ هي الأسئلة التي تقافزَتْ بين عينيَّ واستوطنَتْ صدري، وشعرتُ بأنّني أنا مَنْ يجلس مع حوريّته، هل أعجبكِ حديثه؟ هو هو.. الأحرف نفسها، الوعود نفسها! سيكون رفيقي وسندي حين يتخلّى عنّي الجميع. هل أحبَبْتِ أناقته؟ بيدي اخترتُ قميصه الأزرق، ورشّشتُهُ بعطرٍ كان هديةَ عيدِ زواجنا الخامس والعشرين، هل أحبَبْتِ قوّته ونضارة وجهه؟ قمتِ من الفجر يا صغيرته، وطهوتِ له ولأولادنا، واهتممتِ بهم، بين لهثة ولهفة أرتشفُ ما تيسّرَ من رحيقِ أيامنا.

نظرتُ إليه كان يَشِعُّ نشاطًا وحيويّةً، يتحدّث بفرح، ولم يصمت لحظةً، تعجّبتُ، أهو مَنْ يقضي الليلَ بطوله صامتًا شاردًا، كم انتظرتُ أن يشاركني أحداث يومه، هل اشتكى لكِ أنّني أهملتُهُ؟ وأنّني قصّرتُ بحقّه؟ ألا يذكر أنّني كنتُ أُربّي أولاده وأعلّمهم، وأعدّهم ليصبحوا سنده، هل أخبرَكِ أنّني عصبيّةٌ كثيرة البكاء؟ ألم يُخبِرْكِ عن موت ابننا دهسًا؟ ألم يقل لكِ إنَّ النوم جافاه لياليَ طويلةً من حرقة الاشتياق، ومن لوعة الفراق، ومن خوفي من فقدانهم؟ بقيتُ أُحدّقُ فيهم، أهي الشّمسُ أم هو القمر؟

«أحبُّك»، قالَتْ ومالَتْ، لم أحتمل فصرختُ: «لا تقطعي حبل الوريد! لا تعبثي ببراعم الطلع النضيد». صاح قلبي، تركتُ المكانَ لهم، وبساقين باردتين تُدفّئ إحداهما الأخرى، ولكن عبثًا تبحثُ عمّن يُهدّئ تلك الرّجفة.

عدتُ للبيت، أردتُ الهروبَ فلم أنظر للخلف قطّ، للأمام كان نظري يركض أمامي، يشير باتجاه النّجمات، دخلتُ المنزلَ، وعند البوّابة مرآةٌ وخزانةٌ وُضِعَت عليها صورةٌ تجمعنا، نظرتُ هناك، كم تبدو مثيرًا للشّفقة! وأنتَ تُحاول أن تتذكّرَ أمامَ مَن يفهمكَ أكثرَ منك، لن أغفرَ لك، سأمنع عنك رائحتي، ما قيمةُ هذه الرّائحة إن لم تجد من يشمّها؟

أنظرُ فتُصدَمُ عيناي بلوحةٍ مُعلّقةٍ بحذرٍ على الحائط، كُتِبَ عليها بالخطّ الكوفيّ: «الأشواقُ التي يطولُ أمدُ اشتعالها تنطفئ وتصبح رمادًا».

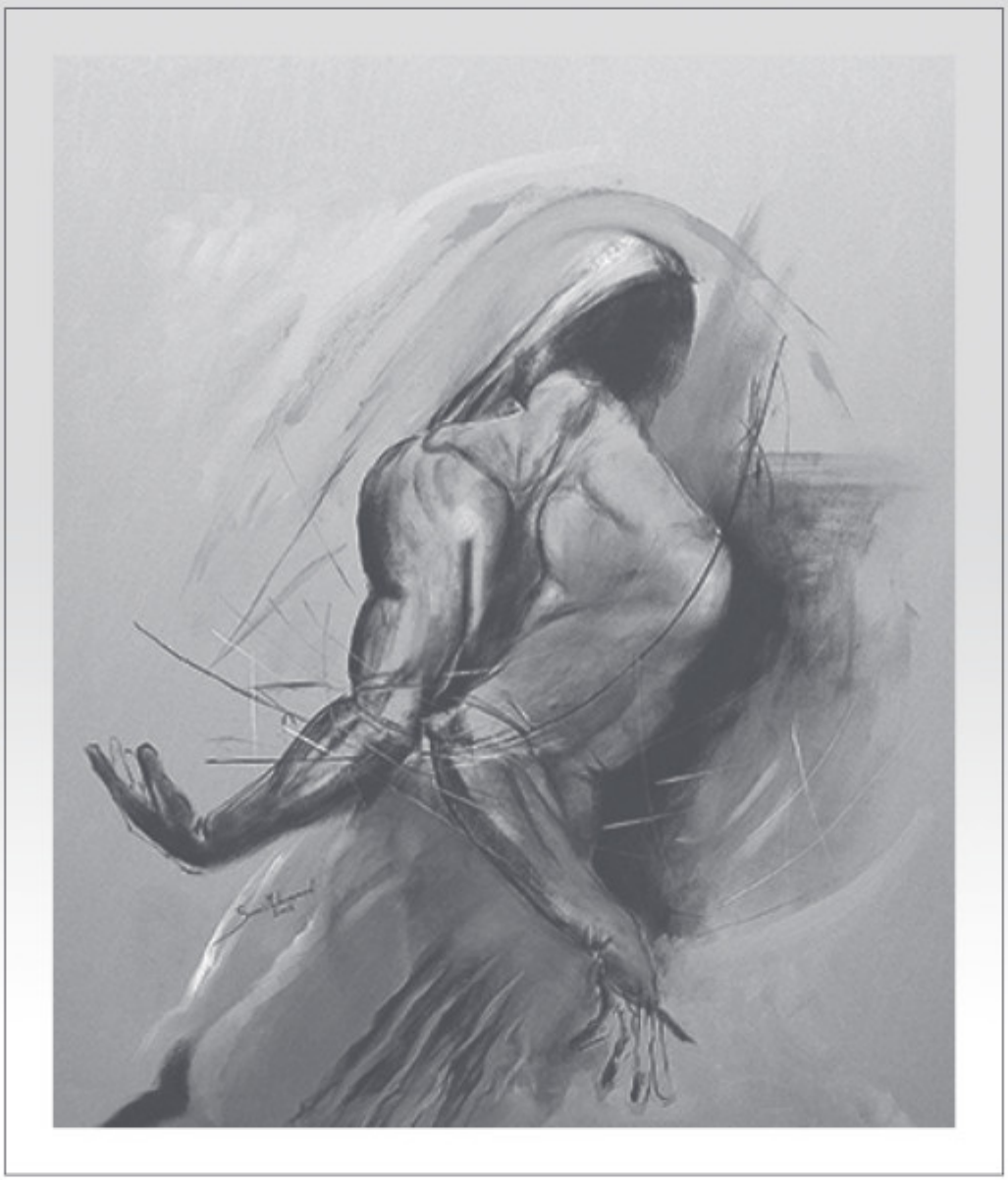

لوحة الفنان سامي محمد/ الكويت

سيميائيّة الخطواتِ الأولى

زينب السعود

سيميائيّة الخطواتِ الأولى

زينب السعود

فسيفسائيّة تلك الطّريق التي التهمت خطايَ منذ حداثة سِنّي، وأنا أمشي على حوافّ الحروف، وأتّكئ على الكلمات، وأتشرّب معانيَ أكبرَ من سنوات عمري وتجاربي، يستعسرُ فهمُ بعضِها ويُلغِزُ عليَّ، ولكنّني أواصل الجريَ خلف فراشاتٍ تحومُ في حقلٍ من الجمل المتراصّة عبر أثير الصّفحات، ألتهم ما جادت به قرائحُ الكُتّاب، ولم أكن حينئذٍ منهم.

هكذا بدأت رابطة الحُبّ الأولى مع القراءة أولًا، منذ أن كنتُ على مقاعد الدّراسة الأولى، عندما تمّ انتخابي من معلّمتي لتمثيل المدرسة في مسابقة أوائل المُطالعين، التي كانت تنظّمها وزارة التربية والتعليم، فتبدأ عقليّتي السّاذجةُ في التفكير بطرق مُبتكَرة؛ للفوز برضا لجنة التّحكيم، فيهديني تفكيري إلى أنَّ أفضل وسيلة للفوز هي الإبهار.

أذهبُ يومَ المسابقة، وقد جهّزتُ في ملفّ المسابقة قائمةَ القصص التي قرأتُها أنا، طالبة الصّفّ السادس، فيتبادل الأساتذةُ المُحكّمون الابتساماتِ وهم يتأمّلون قائمتي، التي لم تكن تحوي قصّةً واحدةً تناسب مرحلتي العمريّة، بل كانت قائمةُ (الإبهار) تتضمّن كتبًا مُتخصّصةً وقصصًا أكبرَ من عمري، جعلت اللجنةَ تستحسنُ ذلك من طفلةٍ تحاول أن تُقلّدَ ما يقرأه الكبار.

نجحَتْ خُطّتي في بعض الأعوام، فكنتُ أفوز بمراكز متقدّمة في المسابقة، لكنَّ الفوز الأكبر أنّها قدّمَتْ لي في ما بعد الجائزةَ الكبرى، عندما أدركتُ لاحقًا أنَّ تلك القراءات التي فهمتُ بعضَها، والتبس عليَّ بعضُها الآخر، بذرت في داخلي بذورَ الوعي المُبكّر؛ لتبدأ قصّتي المُشوّقة مع الكتب، وتنعطف بي إلى الأدب، الذي وجدتُ فيه ضالّتي في الحصول على الدَّهشة والتحليق في فضاءات بعيدة، والتوغّل في عالم الأفكار الذي عرفته باكرًا.

كانت القراءةُ عالمي الحقيقيّ، بدأتُ جزءًا منه في مسابقات المدرسة، واكتمل بعضُهُ في قصص المغامرات والألغاز التي كُنّا نتداولها في محيط العائلة، فكانت قصص (المغامرون الخمسة) للكاتب المصريّ محمود سالم، وروايات (أجاثا كريستي)، وقبلها كانت روائع المكتبة الخضراء، التي ألهمتنا كثيرًا من الخيال الجميل، وكان الكنز الثمين عندما حصلتُ على أعداد مجلّة (ماجد) من صديقتي التي لم تكن صداقتنا لتطول، لولا حصولها على أعداد المجلّة أولًا بأول، وكان ذلك سببًا كافيًا لألتصقَ بها.

لقد كبرت الفكرةُ، وتعدّدت الحقولُ وتزيّنت بالأزهار، فاستجلبت النّحلَ الذي يروم أكثر من التنقّل كالفراشات بين عبير السّطور، فكان أن بدأت رحلتي مع الكتابة.

كتبتُ خواطري باكرًا كما فعل كثيرٌ من أبناء جيلنا، وطعّمتُها بما أتقنتُهُ من خيال، ولاحقًا تحوّل الأمرُ إلى حاجة مُلحّة للجلوس خلف الطاولة، واستلال القلم، والتّأمّل لدقائق قد تطول أو تقصر؛ لجمع أشتات المعاني والصور ذهنيًا قبل البدء في بعثها على الورق، فكانت أولى مقالاتي الناضجة فكريًا وأسلوبيًا مقالة نُشِرت في مجلّةٍ تصدر عن إحدى الجامعات.

وقد يستغرب البعض ممّا سأذكره، وما أنا مؤمنةٌ به حقًا، لقد صنعت سنوات الدراسة الجامعيّة منّي شيئًا مختلفًا، أو لأقول إنّها أحدثَتْ في تفكيري نضجًا، وفي عقلي وعيًا، وأشرعت لي أبواب المعرفة والاطّلاع، والقراءة في الأدب والكثير من أمهات الكتب.

فمن جميل قدري أنّني كنتُ من الدّفعات الأولى التي درست في جامعة (آل البيت)، التي كانت تتبنّى نظامًا تعليميًا مختلفًا عن بقية الجامعات في الأردن، من حيثُ عددُ الساعات المعتمدة، ونوعيّةُ الموادّ الثقافيّة المساندة، واعتمادها مادة البحث العلميّ الموثّق منهجًا أساسيًا وشرطًا لاجتياز المواد الدراسيّة بنجاح.

ولا أراني أبالغُ إذا قلتُ إنَّ تلك الأبحاث التي استنزفت وقتي وجهدي وراحتي، صنعتني بطريقة ما، وإنَّ أعداد الكتب والمراجع والحوليّات التي اطّلعتُ عليها، غرسَتْ بذورَها دون أن أدريَ في تربة إدراكي؛ لتُشكّلَ في ما بعد وعيي، وتُبلورَ كثيرًا من المفاهيم لديّ. وأعظمُ ما قدّمه لي الاشتغالُ على الأبحاث العلميّة، أنّه أعطاني دافعًا لزيارة العديد من المكتبات؛ بحثًا عن مرجع مفقود أو مصدر لا يتوفّر إلّا في مكتبة معيّنة.

ولا أنسى زيارتي إلى مكتبة جامعة (اليرموك) في عام تخرّجي، عندما كنتُ أعمل على مشروع التّخرّج. وقبل أعوام عديدة مضت، حدث ذلك المشهد على أرضيّة مكتبة اليرموك في مدينة إربد، وتحديدًا مقابل رفّ الدوريّات القديمة، افترشت إحداهن الأرض، وأخذَتْ تتصفّحُ مجلّة (الرسالة) بأوراقها العتيقة، كانت الأعدادُ المهترئةُ محفوظةً داخل ملفّات كبيرة؛ بهدف الحفاظ عليها بعد أن تحوّلت أوراقها إلى اللون البنيّ، كأنَّ قدحًا من الشاي قد انسكب فوقها، فأحدث فيها خطوطًا مُتعرّجةً متداخلةً، تجعل بعض جهات الورقة أغمق من بعضها الآخر.

كانت تُقلّب الصفحات باهتمام وبطء شديدين، استوقفتها الصّفحاتُ الباليةُ، انهمكَتْ في القراءة ثم لم تلبث أن بكت، المقالُ الذي جعلها تتأثّر لدرجة البكاء، كان مقالًا كتبه أحمد حسن الزيات عن مصطفى صادق الرافعي، مؤبّنًا له بعد وفاته. نعم يا سادة لقد بكيتُ على وفاة الرافعي في تلك اللحظة من ذلك اليوم من عام 2000م، كأنّه توفي اللحظة، وكأنَّ نعيه حدث الآن، أما لماذا الرافعي، فلأنَّ بحث التّخرّج كان دراسة عن المرأة في مقالاته التي جُمعت في كتاب (وحي القلم).

إذن هي المكتبة والكتب، هي القراءة المُتعمّقة، هي العيش داخل المتون لبضع ساعات، هي الروايات وأشعار المتنبي وروائع المعلّقات، هذه بعضُ ما شكّل أدواتي، وبعض ما برى يَراعي وأرهفَه ورقّقه، وما زلتُ إلى اليوم مدينةً لجملة الرافعي وبهاء صورته، وجمال لفظه وبيانه، وتفرّد صنعته وأخيلته.

وإذا كانت القراءةُ هي الخُطوة الأولى، فلا بدّ أن تكون خُطوةً مُحكَمةً وثابتةً على أرضيّة صلبة، وليس يعطي الأديبَ ذلك إلّا سعةُ اطّلاعه على إبداعات الأمم الأخرى، فكان أن وقعَتْ بين يديَّ نسخةٌ من رائعة الأدب الروسي (الأخوة كارامازوف) لـ(ديستويفسكي)، أحببتُ عبقريّته الفذّة، وقلمه السّاحر في وصف المجتمع، والدخول عميقًا في نفس الإنسان، وعقد المناقشات الفلسفيّة التي تبحث في كلّ ما يُحيط بشخصيّاته من تفاصيل؛ لتبدأ بعد ذلك علاقة قويّة مع الأدب الروسيّ، الذي يندرج تحت تصنيف الأدب الممتع.

لم أكن أتوقّف كثيرًا عند سؤال: ماذا أفعلُ لأكونَ كاتبًا؟ فهو سؤال يبدو بالغ التعقيد لدى كثيرين، لكنّني كنتُ مُعجبةً جدًّا بعبارةٍ لأحمد خالد توفيق، يقول فيها: «الحقيقة أنّكَ إما أن تولد كاتبًا أو لا تولد ...». وقد أعجبتني فكرته عن المزيج السّيميائيّ من الجينات والتربة المناسبة، والبيئة والقراءة المُبكّرة، والعقد النفسيّة والرّغبات المُحبَطة، التي تتداخل كلّها في تشكيل شخصيّة الكاتب، شرط أن يمتلك شيئًا داخليًا يدفعه لملاحقة أفكاره فوق الورق.

غير أنّي أعترف برهبةٍ كانت تتملّكني قبل إصدار روايتي الأولى وإظهارها إلى العلن، لا سيّما أنّني مكثتُ لسنوات عدة أكتب لنفسي دون حسابٍ لرقيب أو ناقد. ورهبة أخرى مبعثها إيماني بأنَّ الكتابة عمليّة نفسيّة مُعقّدة، تتأرجح بين الغرور وانعدام الثقة بالنفس، وربما كان الكثير من الأدباء بحاجة إلى أطبّاء نفسيّين؛ ليُفسّروا ما يمرّون به من حالات عدم الرضا عن النفس، أو شعور الإعجاب الشديد والنشوة بالنصوص إلى حدّ التّقديس.

ومن رحم هذا وذاك وُلِدَتْ روايتي الأولى (الحرب التي أحرقت تولستوي)، وتلتها بعد ذلك رواية (العبورُ على طائرةٍ من ورق)، وها أنا ذا أسير الآن بخطىً حذرةٍ على إسفلت ساخن في عمل جديد ومختلف تمامًا عن الروايتين، بعد أن وجدتُ أنَّ التوقّف عن الكتابة، تسبّبَ بحالةٍ من الازدحام الفكريّ.

وتظلّ الأفكار تطرق جدران العقل والوجدان؛ لتتحرّر وتنفلت على الورق، فتزهر وتخصب، وتستولد أفكارًا أخرى تمنح النصوص الحياة، لماذا؟ وكيف؟ وما الذي؟ قدري أن أحبَّ الكلمة.

حروفية الفنان ابراهيم أبو طوق/ الأردن

- القِصّةُ القصيرةُ وتحوّلاتُ الجنسِ القصصيّ ..... أنيس الرّافعي
- هندسةُ النّصّ الأدبيّ ..... يسري الغول
- التّراثُ السّمعيّ والبصريّ.. روايةُ التّاريخِ بالصّوتِ والصّورة ..... أنوار رائد البطوش

القِصّةُ القصيرةُ وتحوّلاتُ الجنسِ القصصيّ

أنيس الرّافعي

من دون شكٍّ ثمّةَ مداخلُ وحدوسٌ، ومقترحاتٌ وتخطيطاتٌ، وخططٌ واستبصاراتٌ، وتصميماتٌ كثيرةٌ لا حصرَ لها؛ من أجل استبانة تحوّلات الجنس القصصيّ، على الأخصّ لمَن ينظر إلى فنّ القصّة من داخل المغامرة الواسعة والقصوى لطروس الكتابة، باعتبارها استطيقالات وطنيّة مسكونة بالنّزوح والاغتراب المستمرّين، وكذا بوصفها جغرافيا غير آمنة ذات نشاطات بركانيّة أو صَهاريّة دائمة.

فمن خِضمّ هذا الارتحال الإراديّ صوب خرائطيّات سرديّة غير مطروقة، ومناطق قصصيّة محرّرة من قيود المماثلة، ومن عُباب الارتدادات الزلزاليّة التي تنسف في كلّ مرّة المطلق والمعيار والنموذج الحكائيّ، يمكن رصد التحوّلات الجوهريّة التاليّة:

أولاً: على صعيد المعمار.

حيث تجدّد المنوال السّرديّ عبر ثلاث إواليّات مركزيّة:

من المجموعة إلى الكتاب.

وذلك بانتقال القصّاصين الواعي والمُفكّر فيه من محطّة المجموعة القصصيّة المُنجّمة، إلى مفهوم الكتاب القصصيّ الجامع، فتمّ بذلك إقصاء تفاوتات الزمن النفسيّ للتأليف، وتوحيد الموضوعات الكتابيّة، ووضع التّنضيد المُسبَق للهندسات الشّكليّة والبنائيّة للمحكيّات، على أساس إضبارات تقنيّة، ومفكّرات نظريّة، وسجلات تأمّليّة، منذورة جميعها دون انقطاع للمحو والتهذيب وإعادة النظر، ومفتوحة بلا إبطاء على رياح التعديل والتنقيح والهدم.

وبموجب هذه العدّة الهادية ارتدّ القاصّ مهندساً، بيد أنّه لا يشبه غالبيّة المهندسين النظاميّين؛ لكونه يبدأ البناء من السقف، ولا يحتاج إلى جدران، يفترض الأسس، ثمّ يتخيّل الأبعاد مثلما يحلو له وتشاء ذائقته المابعد حداثيّة.

موسيقى المتوالية.

إذ عكف كُتّاب القصّة على توظيف مصطلحات الحلقة أو التوليفة أو المَجْمَع؛ كي تشتغل حركة السّرد في المتوالية القصصيّة بشكل لاخطّيّ وانسيابيّ، على أساس أن تكبر تماماً كالموسيقى، وفق ديناميّة مرنة، فالحركة الأولى تغدو هي الثانية، والثانية هي الثالثة، دون لحظات فاصلة أو مساحات بياض شاغرة، فكلّ حكاية تموت من أجل حياة الحكاية الموالية، تسلم الروح فداءً للحكاية القادمة.

وضمن هذا النسق الهارمونيّ، استوعب القصّاصون أهمّيّة عدم البحث عن الشكل الأمثل داخل متاهة المتوالية، وإنّما عن الصمت القابع في جوفها والمتكلّم بلسان أحوالها، الصمت بين نوتات القصص، الصمت المُتحوّل في آنٍ معاً، إلى مفتاح وقفل للمعاني، الصمت الذي يُمكّن من سماع إيقاعات المتوالية وأغنياتها الباطنيّة.

تماهي الهامش والمتن.

إذا كان متن القصة سطحاً هادراً، فإنّ الهوامش هي أعماقه الصامتة، وكلاهما بالتساوي أضحيا بالنسبة للقصّاصين بمثابة الدرجة العليا في مقياس السّرد التقريبيّ المؤسّس على الافتراض، السطح والعمق لم تَعُدْ ثمّة من مفاضلة بينهما، ولا امتياز لأحدهما على الآخر، فهما يتبادلان بالتناوب والترادف فضيلة الغايات الرحبة والغايات الضيّقة داخل منظومة الحكي.

لقد استوعب كُتّاب هذا الجنس المتوعّر المُحيّر جيّداً أنّ للقصة أقداراً دراميّةً، كما لو أنّها جندي سيّئ الحظّ أصيب في حروب الأجناس والأنواع المفتوحة، ثمّ تعرّض على نحوٍ غادرٍ لبترِ عضوٍ حيويّ، لذلك يأتي الهامش الشارح أو البنائيّ؛ ليكون بمثابة الطرف الصناعيّ المزروع أو المدمج، القادر على استعادة وظيفة جماليّة مغيّبة، أو مرجأة لردحٍ طويلٍ من الزمن.

ثانياً: على صعيد الفكر.

كما هو معلوم، لكلّ فكرٍ قصصيٍّ أسطوريّاته المؤثّثة، تلك التي ستصير في ما بعد مؤهّلة بدورها للزوال والتآكل والتقادم؛ كي يتمّ تعويضها بمفاهيم بديلة، ومن بين هذه الأسطوريّات الراهنة الأكثر شيوعاً، نذكر «المُكعّب» الآتي:

أ - من تداخل الأنواع إلى حواريّة الفنون.

عمد كتّاب القصة إلى مراجعة طرائق تدبير عوالمهم القصصيّة، وذلك بانتقالهم من محطّة تداخل الأنواع إلى مرحلة حواريّة الفنون والأنماط التعبيريّة الزمانيّة والمكانيّة، فغدا الجنس القصصيّ مجالاً ثريّاً وواعداً للانفتاح والتصادي والتنافذ، مع وسائط وخطابات وأساليب تعبيريّة وإبستيميّة أخرى (تشكيل، سينما، فوتوغرافيا، ميديلوجيا، موسيقى، كاريكاتير، مسرح، هندسة معماريّة، نظريّة الألعاب، رسوم متحرّكة، فنون الكوميكس، إثنوغرافيّا...).

وقد أفضت هذه العلائق التّخوميّة والبرازخ النّصيّة إلى تخصيب القصّة، وحقن أوردتها بأمصال مدوّنات جديدة ذات قوانين إحالة مغايرة، ممّا كان له بالغ الأثر على هويّة القصة، التي أضحت استوائيّةً في موضوعاتها، وخلاسيّةً في أشكالها. لقد ودّ مبدعو القصة بهذا الفعل الانتهاكيّ المُتعمّد أن يكسروا الفكر الجماليّ التقليديّ، وأن ينخرطوا في تجربة الحدود، تلك التي تُمثّل اختراقاً وانزياحاً عن المقاييس الشرعيّة والجاهزة لكتابة القصة.

ب - فقه الصنعة.

انتبه السواد الأكبر من القصّاصين إلى كون منجزهم هو عبارة عن أعمال أدبيّة ذات أبعاد حرفيّة أو تقنويّة خالصة، أعمال غير ناجزة على نحو وثوقيّ، في طور الانعتاق من رواسب المعيار والفطرة، ومن مختبر التصوّرات المُسبقة، الشبيهة بتقليم وتحذيّة حوافر الكتابة القصصيّة، إذ إنّ أيّ تبعيد أو نفي للصنعة، يُفضي بالضرورة إلى إفقار وإجذاب أسلوبيّة الجنس القصصيّ.

وبموجب هذا الطرح العامّ صارت القصة صناعة تقليديّة داخل المجمع التجاريّ العملاق للأدب، حرفة ذات أسرار ونواميس، طقوسها نبراس في السرائر لا قوانين معلنة على الملأ، فقه خياليّ ينضبط لأحكام شبه دقيقة ولمسائل شديدة الغموض، شرعة جوانيّة قبل أن تكون مظهراً، ومنظومة إشراقيّة قبل أن تكون حادثة أدبيّة.

ومتى ترسّخت هذي الصنعة وتأصّلت، انتقلت إقامتها من المُجَمَّع التجاريّ إلى حجرة التفكيك الخاصّة بالمؤلّف، حيث الإمكانات غير محدودة لاستقصاء الأصناف وتجريب الاحتمالات، قصّة ما قبل النوع، قصّة النوع، قصّة عبور النوع، قصّة ما وراء النوع، قصّة ما بعد النوع، وقصّة اللانوع.

ت - الخريطة الجيو - قصصيّة.

لا وجود في عُرف الفنّ القصصيّ الراهن على الإطلاق، لقصّة لا يجوز أن توسَمَ بالمحليّة أو بالخصوصيّة أو بالإقليميّة الضيّقة، فإمّا أن تكون ذات بعد كونيّ إنسانيّ أو لا تكون، قصّة تتوق لطعن مواقيت الحاضر، علّها تستطيع جرح الأبديّة.

ومن هنا ابتدعت الأجيالُ الجديدةُ من كتّاب هذا الجرم الصغير خرائط كونيّة جيو - قصصيّة، خوّلت لهم التبحّر وتحقيق رحلات حجّ حكائيّة، وضبط روزنامة مواعيد قرائيّة وإنتاجيّة، مع مرجعيّات وذاكرات من مختلف الجغرافيّات والتيّارات والحساسيّات، والأطياف والأزمنة.

وبموجب هذه الخريطة الطبوغرافيّة للذهن والذائقة والتذوّق والتصييغ، أضحى كاتب القصة الحالي مسافراً سرمديّاً، ومُتخصّصاً شغوفاً في الترحال السّرديّ على سلسلة طرق خياليّة لانهائيّة، ذات قدرة على نسج الصداقات الأدبيّة البعيدة، ونظم المُحايثات الثقافيّة المتقاطعة، بغرض استجلاب التقنيات والقوالب والصيغ المُستحدثة لكتابة القصة، بأنفاس أكثر رحابة ورهافة.

ثالثاً: على صعيد التخييل.

يقال إنّ متخيّل القصّة بدايته مضيئة، غير أنّ نهايته ثقب أسود يبتلع كلّ افتراضات مصهر الكتابة الأجّاج، غير أنّنا سنلتقط منه ثلاث شَظِيّات حارقة:

أ - من المملوء إلى فرجات الفراغ.

فَطِنَ صنّاع الفنّ القصصيّ إلى أنّ الحكي موجود في الكون أصلاً قبل أن تظهر القصص، وتتطوّر في ما بعد إلى السّرد، ثمّ صارت تجريباً فلسفته الفراغ، إذ لم يَعُدْ كافياً أن نكتب في المملوء فحسب، بل صار من الضروريّ البحث في الفراغ القصصيّ، وما فيه وما حوله، فالفراغ هو مادة صلبة أيضاً لبناء المتخيّل، إلى جانب الكتلة والحجم السرديّين. المابين أو فرجات الشيطان في تشييد القصص، تمّ إهمالها لعقود طويلة، أو النظر إليها كفضاءات مُفزعة، لكن لحسن الحظّ استعاد الفراغ أهليّته وغائيّته لمّا اعتُبِرت القصّةُ كوناً مُصغّراً «ميكروكوسموس» يُمثّل الملء، محاطاً من شتّى أنحائه بالفراغ.

إنّ خصيصة الفراغ في القصة هدفها الإنشاء لا المحو، كما تقوم بلاغة الفراغ في القصة على اللاانتهاء، وتحاشي الوصول إلى نطاق معنى نهائيّ مغلق. الآن القصّاصون يكتبون كي يصير الفراغ مسكوناً بالحكي، يحلمون بفراغ قصصيّ على شكل قائمة لانهائيّة من الخدع والأوهام البصريّة الخلاّقة.

ب - مطاردة اللامرئيّ.

حاول القصّاصون الجُدد أن يتواصلوا من خلال نصوصهم مع اللامرئيّ - الذي يعيش مُتخفّياً - إلى جوار المرئيّ، وعلى مطاردة الأرواح البعيدة الحيّة أو الميّتة الكامنة في المتخيّل، في سعي منهم للقبض على الخارق والعجيب الذي يخاصر العادي والطبيعيّ داخل سيرورة حيواتنا.

ولعلّ هذا الطموح المنخرط ضمن صيرورة التحوّلات والأداءات المُحدثة، توق لاكتشاف ما وراء القصة، مثلما

اكتشف الفنّان الفرنسيّ (بيير سولاج) في التشكيل «ما وراء الأسود»، الأسود الذي بإمكانه أن يصير هو اللّون واللّالون، والتجريب في اللّامرئيّ الذي بمستطاعه أن يغدو هو الحكي واللّاحكي. إنّ عمر الكتابة قليل، غير أنّ عمر اللّامرئي أزليّ بلا خاتمة، وشرط اللّامرئي داخل القصة ألّا يُعَرَّف أبداً من داخل الحدود المحروسة لنظريّة السّرد.

ج - التخييل الذاتيّ ودراما الأقنعة.

وصلت القصّة في السُلّم الترتيبيّ لمُتخيّلها إلى مرحلة خيانة الأصل، أي نهاية الذات الخام، ونفي السيرة الشخصيّة الحقيقيّة، إذ أضحَتْ تقريباً جميعُ مقوّماتها ومكوّناتها وعناصرها، تُبتكر داخل ورشة القاصّ الخاصّة، ضمن يافطة التخييل الذاتيّ الصِّرف، على نحو مصنوع لا مطبوع، مصنوع مثل إبرة بلا يد، تواصل لبرهةٍ الخياطة وحدها في منزلة رفيعة من منازل القصة.

القاصّ لم يَعُدْ يعرض ذاته الواقعيّة الحميمة داخل قاعة زجاجيّة؛ كي يتفرّج عليه القارئ، وإنّما يختلق ذاته على نحو تجريديّ تكتنفه الظلال، ثمّ يُقدّمها على نحو مُموّه لمحفل التلقّي. ولعلّ شيوع دراما الأقنعة و(الدوبلغنجر)، جعل مفاهيم الشبيه والمضاعف، والنسيخ والمزدوج، والقرين الداخليّ، والآخر الذي يرفض الاختفاء من النفس، والأنا التعويضيّة، تشيع وتستشري داخل مدوّنة القصّة منذ مُستهل الألفيّة الثالثة إلى يومنا هذا، فالقصّة والقاصّ شيزوفرينيان ومنقسمان بلا جدال، يتكاثران ويتضاعفان بلا هَوادة داخل ماكينة التخييل الذاتيّ.

رحيق القول وصفوته كانت هذه بعض تحوّلات الجنس القصصيّ، وكأنّي بها تسعة لوامس مبتورة من جسم قنديل البحر، اللّوامس عينها، التي طالما امتلكها فنّ القصّة بدوره؛ كي يُجدِّد على الدوام خلاياه، ويضمن سرّ خلوده الأبديّ، عقب موته وتحلّله في كلّ مرّة، تماماً كما يحدث لقنديل البحر غداة مرحلة (البوليب)، إذ ينتميان معاً إلى عزلة البحار الصامتة وجرح الأعماق السحيقة.

كما ينتسبان بامتياز إلى أفق البتر والوصل، القادر دون نَصَبٍ أو كللٍ على مداواة أطرافه المقطوعة، أو استعادة الأجزاء المفقودة منها، أو على إعادة تموضعها؛ لتغدو المسافة بينها متساوية مُدَوْزنة، متى تمّ فصمُ إحدى عُراها أو مُكوّناتها العضويّة، وتبقى تلك التأمّلات نسبيّة إلى حدّ بعيد، تتكلّم بألسنة أصحابها فقط، صنو القصص تماماً، التي هي سردُ الواحد المفرد الهامس، لا صوتُ الجماعة الصّاخب.

هندسةُ النّصِّ الأدبيّ

يسري الغول

تخيّل أن تشرعَ في بناء فيلا أو قصرٍ، تطلب من مهندس معماريّ أن يُصمِّمَ لك خريطةً تتناسب مع طبيعة الأرض والظروف المناخيّة، وتواكب التّطوّر العمرانيّ في بلدان العالم المُتحضِّر، وتكون أفضل من جيرانك؛ كي تُلفت الأنظار إلى جمال ما ملكت.

وتخيّل معي أيضاً أنَّ هذا البناء نشأ بشكل إبداعيّ، لم يسبق أن حظي به أحدٌ من سكّان المدينة أو الدولة، لكن المُصمّم/ المهندس نسي – للأسف – أن يؤسّس شبكة الصّرف الصّحّيّ داخل القصر، أو نسي تأسيس شبكة كهرباء داخل الغرف، تُرى كيف سيكون حال هذا القصر في الليل؟ وكيف سيصير حال سكّانه حال رغبتهم بقضاء حاجتهم؟ كيف سيتصرف الجيران إن ولجوا الفيلا/ القصر من الداخل واكتشفوا هذه المصائب العظيمة؟

إنَّ النّصّ الأدبيّ، قصة أو رواية أو حتى مسرحية وسيناريو، يشبه تماماً الخرائط الهندسيّة ذات الأبعاد المُتناسقة، خطوط الطول ودوائر العرض، المساحات والأحجام، فهي تعمد إلى بناء متكامل، يهتمّ بكافة التفاصيل، ولا يؤثّر شيء فيه على آخر.

وتخيّلوا معي لو كان هناك حجرٌ زائدٌ في غرفةٍ، أو آخر ناقصٌ في جدار، كيف سيكون المشهد؟ وأين ستتجه أنظار الزّوّار أو سكّان البناية؟

هكذا هو الحال مع الأدب، ففي عصر السرعة والإعلام الاجتماعيّ، وقع المبدعون الشباب في فخّ خرائط التيه، وتعثّر الأولويات، وتراكم معايير نصّيّة بنيويّة على حساب معايير أخرى، حتى صار قصر الكتاب/ العمل الأدبيّ بشعاً مُشوَّهاً.

فقد عملت الثورة التكنولوجيّة الهائلة على فتح الأبواب للمبدعين الشباب من أجل إظهار قدراتهم في مجالات متعدّدة، وفتحت الآفاق مُشرَّعةً لاكتساب ثقافات مختلفة، وبمستويات كبيرة، حتى بات لدى الجيل الجديد ثقافة هجينة، اختلط فيها الأسلوب والمنهج، الرؤى والتصورات، وباتت هناك مدارس جديدة في كلّ شيء بما فيها الأدب العربي.

لكنَّ هذا الانفتاح – رغم أهميّته – وضع السّمين في مواجهة الغثّ، وبات من الصعب معرفة العمل الجيّد من الأقلّ جودة، خصوصاً مع انتشار دور النشر الرّبحيّة، وضعف كثير من مؤسسات الثقافة العربيّة الرّسميّة في دعم الناشرين والكُتّاب على حدٍّ سواء، الأمر الذي دفع معظم تلك الدور إلى الانتقال من البحث عن كاتب جيّد إلى البحث عن شخص يمتلك مالاً أو متابعين على مواقع التواصل الاجتماعيّ، قادرين على تسويق عمله الأدبيّ.

ليس ذلك فقط، بل ذهبت كثيرٌ من دور النشر إلى تغليف الكتب بكيس بلاستيكيّ/ نايلون؛ كيلا يقدر القارئ على تصفّح الكتاب إلّا بعد شرائه، وكثيرة هي الأغلفة والعناوين التي تُغري أي قارئ، لكن ليس بالضرورة أن يفعل المحتوى ذات التأثير، ولهذا كان هذا النوع من التحايل على القارئ المُنبهِر بالشكل في عالَم (الشّوو) الإعلاميّ.

إنَّ الكتابة الأدبيّة تعاني اليوم من نقص جودة المحتوى في كثير من الأعمال المنشورة؛ للأسباب سالفة الذكر، ولرغبة المُبدعين الشّباب في نشر أعمالهم، دون انتظار الثمار حتى تنضج، والأفكار حتى تكتمل، فيخرج العمل الأدبيّ وقد امتلأ بالأخطاء اللُّغوية والنَّحْوية وعلامات الترقيم، بالإضافة إلى تفكّك البنيات النّصيّة، وتحطّم الحوار، ثم انهيار البناء السّرديّ في ثرثرة النّصّ أو اقتضابه، الأمر الذي يزعج القارئ المُتمكّن، فيترك العمل وينسحب عن متابعة أيّ جديد للكاتب، فيضرّ ذلك الكاتب؛ لأنَّ الانطباع الأول كان الانطباع الأخير.

إنَّ الكتابة الأدبيّة فنّ معماريّ جميل، يشبه القصور، برونقٍ يختلف من مدينة إلى أخرى، وطراز وآخر، وهذا ما يدفع القارئ إلى ارتشاف جمال الأدب، فعندما تقرأ لنجيب محفوظ، ويوسف إدريس، وبهاء طاهر، ومحمد البساطي، وإبراهيم أصلان، وسعيد الكفراوي، وغيرهم، تعرف المجتمع المصريّ بريفه وحَضَره، ظروفه وأحواله.

وعندما تقرأ لغائب فرمان، وفؤاد التكرلي، ومحمد خضير، وضياء جبيلي، وحسن بلاسم، ومحسن الرّملي، وسنان أنطون، تعرف العراق بكلّ تاريخه وانكساراته. وعندما تتعلّق بغازي القصيبي، وليلى الجهني، وعبده خال، تعيش مع السعودية بجمالها وأدبها المخمليّ، وحين تتصفّح أعمال كريم معتوق، وعلي أبو الريش، وراشد النعيمي، وإيمان اليوسف، وميسون صقر، تدرك جمال الإمارات وروعة أفكار مواطنيها.

هكذا هي الأعمال الأدبيّة، قصور وأبنية غاية في العظمة، إذ تأتي هذه العظمة من جمال التصميم، وجودة المواد المستخدمة في العمارة، فهل يمكن أن يبنيَ أحدنا قصراً دون مهندس يرسم له خريطة شاملة متكاملة؟ هل يمكن بناء هذا القصر دون وجود شبكة كهرباء أو صرف صحي؟! هل يمكن تجاوز أنواع الرخام والمساحات وغيرها؟ الأدب كذلك، لا يمكن تجاوز العمل الأدبي في إنتاجه دون تحديد عناصره، خصوصاً الرواية التي باتت تُشكّل أساساً في الأدب العربيّ، ومع انتشار الجوائز العريقة مثل بوكر الرواية وغيرها.

إنَّ الأديب يشرع في رسم خطوطه العريضة على الورق لتحديد مسار الرواية/ القصة أو السيناريو والمسرحية، فيُحدّد الشّخصيّات ومهامّ كلّ واحد منها، زمان العمل ومكانه، الغاية التي يسعى للوصول إليها؛ لأجل بناءٍ تراكيبيٍّ متميّزٍ، يأسر لُبّ القارئ بلا تشتّت أو تيه.

ثمّ إنَّ الأبعادَ التكوينيّة والاجتماعيّة والوجدانيّة للشخصيّات، بالإضافة إلى لغة السّرد وطريقة الحوار، وطبيعة الفصول، ومصير الصراع داخل أيّ عمل، مهمّ جداً، لا يمكن فصل بعضها عن الآخر، وإلّا فلن يكتمل البناء، وسيصبح قصراً من ورق، قد يجذب القارئ بداية الطريق، لكنّه يسقط في فخّ الفشل لاحقاً، ويصبح الانطباع الأول هو الأخير بعدم جودة الكاتب/ المهندس، فيتراجع القُرّاء عن تأمّل البناء الدراميّ/ السيني من قصة ومسرح ورواية وسيناريو لهذا الكاتب، رغم كلّ محاولاته التي قد تأتي لاحقاً لإصلاح بناءٍ تمَّ على عجل.

لذا فإنَّ أهمَّ ما يمكن تقديمه من نصائح للمهندسين المبدعين، مهندسي الحروف، أن يثابروا في تعلّم ومتابعة كلّ ما هو جديد في المشهد الأدبيّ؛ لأجل صناعة عمل أدبيّ إنسانيّ يتماهى مع كلّ الأزمان والأديان، الأفكار والمذاهب، ولا يكون ذلك إلّا بعولمة النّصّ وأنسنته؛ فحين سُئِلَ (فولتير) عمّن سيقود العالم، أجاب: الذين يعرفون كيف يقرؤون، وكما قيل: قارئ اليوم هو قائد الغد.

كما أختم بما قاله الراحل ميخائيل نعيمة في كتابه (في مهب الريح)، في مَعْرِض نُصحه للأدباء الشّباب: «لكلّ ذي مهنة أو حرفة عُدّة، وعُدّة الأديب لغة وفكر، وخيال وذوق، ووجدان وإرادة، وهذه كلّها قابلة للتنمية وللصقل، وخير الوسائل لتنميتها وصقلها هو احتكاكها المستمرّ بما سبقها وبما عاصرها من نوعها، ثم توجيهها التوجيه المستقلّ في الطريق الذي تفرضه على الكاتب حياته الباطنيّة والخارجيّة.

لذلك كان لا بدّ من المطالعة، ومن فكر سريع الالتقاط، وخيال مسبل الجناح، وذوق مرهف الحدّين، ووجدان صادق الميزان، وإرادة صلبة العود، وكان لا بدّ لكم فوق ذلك كلّه من مَعِدة أدبيّة تهضم ما تلتقطونه هنا وهناك، فتُحوّله غذاءً طيّباً لكم وللذين يقرؤون ما تكتبون، وإلّا كنتم كالإسفنجة، إذا غمستموها في سائلٍ من السوائل التي عصرتموها، ردّت إليكم ما امتصّته عيناً بعين، ودون زيادة أو نقصان، وكنتم إذ ذاك أصداءً فارغةً لا أصواتاً حيّةً».

مهندسو الأدب قلّة، رغم كثرة ما يصدر عن دور النشر العربيّة، فهل ستكون – عزيزي القارئ – واحداً منهم؟

منحوتة الفنان رشيد قريشي/ الجزائر

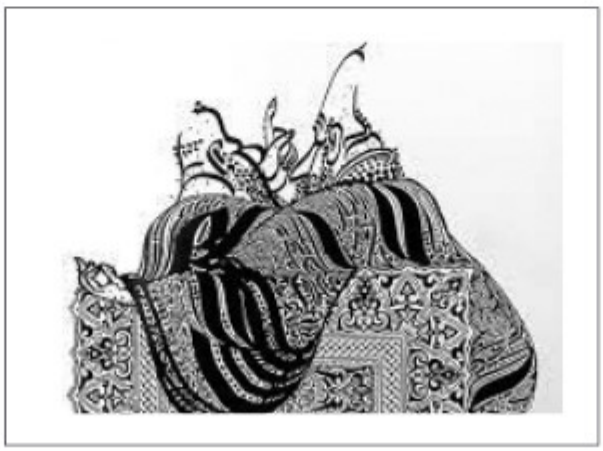

لوحة الفنان حسن موسى / السودان

التّراثُ السّمعيّ والبصريّ.. روايةُ التّاريخِ بالصّوتِ والصّورة

أنوار رائد البطوش

التراث هو كلّ ما ينتقلُ عبر الزمن من جيل إلى جيل، سواء كان مادّيّاً كالمباني مثل المسارح والأعمدة، والملابس والأواني، أو معنويّاً كاللّغة والمأكولات، والحكايا والأغاني الشعبيّة، وغيرها الكثير، لذلك يُعَدُّ التراث هُويّة الأمم والشّعوب، وبصمتها الخاصة في الحضارة البشريّة، كما أنّه يُعَدُّ رمزَ الارتباط بين الماضي والحاضر والمستقبل، وهو يسهم في تماسك الشعوب والأمم؛ لما له من مكانة في النفس الإنسانيّة، هذا عدا عن مساهمة التراث في إثراء وتنشيط الحياة الاقتصاديّة والاجتماعيّة للدول، من خلال ما يتمّ نقله وإظهاره للسّيّاح ولبقية الأمم، وبهذا يُشكّلُ التراثُ بطاقةَ تعريفٍ شاملةً، يُقدّمها شعبٌ أو أمّةٌ عن نفسها للعالم بأسره، فإن اعتنت به رفعها، وإن أضاعته ضاعت بوصلتها.

وقد تشترك أمّةٌ أو شعبٌ مع أمّةٍ أو شعبٍ آخرَ في بعض الموروثات؛ بسبب التجارة وتنقّل الناس وهجرتهم، وهو ما يحدث دائماً وعلى مرّ العصور، لكن بالتأكيد لكلّ أمّة تراثٌ مميّزٌ وفريدٌ من نوعه، ولا يكون طبق الأصل عن أيّ تراثٍ آخرَ؛ بسبب تغيّر التضاريس والظروف الجويّة والأحوال الاجتماعيّة، ومدى تنوّع المجتمع والأديان عند كلّ أمّة، لذلك فإنّ التراث لا يمكن سرقته أو ادّعاء أنّه لأمّةٍ أخرى غير تلك التي تمتلكه بالفعل.

غالباً ما يعكس التراث الحالة الاقتصاديّة والاجتماعيّة التي عاشها الناس على مدى سنوات عديدة، فحتّى الموروث الفنّيّ والأدبيّ والعلميّ، بل والدينيّ أيضاً، يرتبط بعضه ببعض مُشكّلاً تراثاً متصلاً متماسكاً، ويصوّر حياة الناس بمجملها في لوحة واحدة لا يمكن فصل أجزائها.

وقد يكون التراث قديماً ومنقولاً من مئات وآلاف السنين، وقد يكون حديثاً ومبنيّاً على تراث سابق، فكلّ ما يحدث اليوم هو تراث للأجيال اللاحقة، وكلّ صورة، أو تسجيل صوتيّ، أو مجموعة من الصور المُتحرّكة، وهي ما يُسمّى بالفيديو، صُوِّرت أو سُجِّلت في الماضي، هي تراث اليوم، لكنّها نوع جديد ومميّز من التراث، يدعى التراث السّمعيّ والبصريّ، وهو عبارة عن محفوظات سمعيّة وبصريّة تروي أحداثاً وقصصاً مرّت على الناس في فترة معيّنة، وتُشكّل إرثاً ومرجعاً لا يُقدَّر بثمن، ومصدراً للمعلومات الموثّقة بالصوت أو بالصورة، أو بهما معاً، كالبرامج الثقافيّة، والمسلسلات والأفلام، والمقطوعات الموسيقيّة، والأغاني، وحتى الرسوم المُتحرّكة، فتكون بمثابة نافذة نطلُّ منها على الماضي، كأنّنا بالفعل كنّا حاضرين في تلك الحقبة، وشاهدنا ما حدث بأمّ أعيننا.

ومع مرور الوقت تتزايد أهمّيّة هذه المحفوظات بشكل كبير، إذ يسعى العالم إلى فهم ماضيه حتى يبنيَ عليه حاضره ومستقبله، فمثلاً كلّ صورة أو تسجيل صوتيّ أو فيديو صُوِّرَ في الحرب العالميّة، يُعَدّ اليومَ كنزاً ومرجعاً وإرثاً بشريّاً، نفهم من خلاله طبيعة ما حدث، ونستطيع أن نرى كيف، ولماذا، بل وأين جرت الأحداث خطوةً بخطوة، فما أعظمَهُ من إرثٍ يُمكّننا من استيعاب العالم، وتعزيز روابط وأواصر الصّلة مع الجميع!

ونظراً لأهمّيّة التراث الرّقميّ، وخاصة المحفوظات السّمعيّة والبصريّة، فإنّ من واجبنا حمايتها من التلف والهلاك الطبيعيّ أو المتعمّد لمحو إرث الأمم، فأوّل مكالمة هاتفيّة، وأوّل سيّارة، وأوّل أغنية، وخطابات الرؤساء والملوك، ومسرحيات الأدباء العظام، وكلّ التفاصيل الصغيرة قبل الكبيرة، وصولاً إلى الرّسوم المُتحرّكة، هي آثارٌ لا تقلّ بأهمّيّتها عن المُدرّجات والمسارح الرومانيّة، أو الأهرامات والمعابد الفرعونيّة، أو مدينة البتراء النّبطيّة، فكما كانت هذه الآثارُ شاهدةً على وجود تلك الأمم العظيمة، وناقلةً لأخبارها، كذلك هي المحفوظات السّمعيّة والبصريّة، وكما يقول الدبلوماسيّ والشاعر والمدير العام لمنظمة اليونسكو السابق (خايمي توريس بوديت): «إنّ المحفوظات ليست مقابر ضخمة، وإنّما هي أماكن أساسيّة لاستمرار الوعي البشريّ».

وكما تتعرّض المواقع الأثريّة للتهديد بالزوال، ونسعى دوماً إلى ترميمها والمحافظة عليها، فإنّ التراث السّمعيّ والبصريّ يتعرّض لذات التهديد أيضاً؛ بسبب الصّراعات السّياسيّة والظروف الاقتصاديّة، وما ينتج عنها من إهمال قد يؤدّي إلى تحلّل تلك المحفوظات وتقادمها تكنولوجيّاً، لذا وجب على الحكوماتِ المُسارعةُ إلى رقمنة كلّ المحفوظات، ونقلها من حالتها المحفوظة بها إلى حالة أخرى أكثر تقدّماً وتطوّراً؛ لتصبح قادرةً على البقاء لسنواتٍ أطولَ، كذلك يجب جمعها وأرشفتها في فئات ومجموعات منظّمة؛ لتصبح مكتبةً رقميّةً تاريخيّةً، وربما متحفاً ينقل هذا الإرث الاستثنائيّ للعالم كما حدث بالفعل، كما قام المتحف البريطانيّ بجمع مواد الرّسوم المُتحرّكة؛ لتكون جزءاً من سجله التاريخيّ.

لذلك وبهدف توعية العالم بأهمّيّة هذا النوع من التراث، فقد قرّرت منظّمة اليونسكو تخصيص اليوم السابع والعشرين من شهر تشرين الأول/ أكتوبر في كلّ عام، يوماً عالَميّاً للتراث السّمعيّ والبصريّ، وتقوم بعمل العديد من الأنشطة والفعاليّات؛ بهدف المحافظة على هذا الإرث المُميّز.

ومن أبرز أهداف تخصيص هذا اليوم، لفت انتباه وسائل الإعلام إلى وجوب المحافظة على ما تنتجه من موادّ إعلاميّة سمعيّة أو بصريّة، كذلك تسليط الضوء على التراث السّمعيّ والبصريّ المُهدَّد بالانقراض، خاصة في البلدان التي تمرّ بظروف سياسيّة واقتصاديّة صعبة، إضافة إلى وجوب إعلاء المكانة الثقافيّة للتراث السّمعيّ والبصريّ في الأوساط الثقافيّة والفكريّة عالَميّاً، ويحمل اليوم العالميّ للتراث السّمعيّ والبصريّ هذا العام عنوان: «التراث السّمعيّ والبصريّ نافذتكم إلى العالَم».

لوحة الفنان مهنا الدرة/ الأردن

توحّشُ الذّائقةِ في العلاقةِ بينَ أدبِ الشّبابِ والنّقد

عبد النّبي عبادي

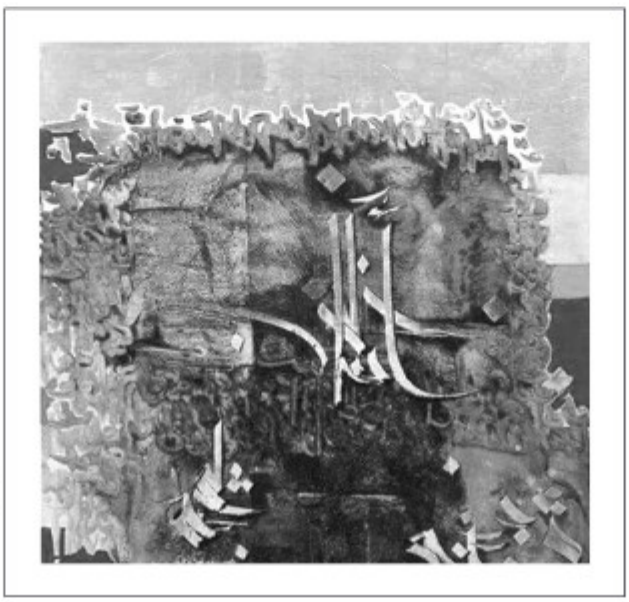

حروفية الفنان أكسم طلاع/ سوريا

توحّشُ الذّائقةِ في العلاقةِ بينَ أدبِ الشّبابِ والنّقد

عبد النّبي عبادي

دائماً تتزفُ العلاقة بين الإبداع والنّقد قلقًا وتوتّرًا، فالإبداع هو الثّمرة الناضجة في شجرة الأسئلة، بينما النّقد هو حارسُ هذه الشّجرة والعارفُ بطيورها القارّة والمُهاجرة، وهو مهموم بما وراء السؤال، فهو قبل الغصنِ بطيرٍ وبعد الطّير بسماء! لكنَّ هذه العلاقة زاد توتّرها عن الحدّ الصّحّيّ، وطغى قلقها على صدق مسعاها، فانقلبت إلى صراعٍ مستفحلٍ بين طرفين محكوم كلّ منهُما بوحشيّةٍ محمومةٍ لإهلاك الآخر الكِتابة، والآخر الكاتب!

لقد أخبرني صديقي، ناقدٌ شابٌ من النّابهين، أنّه لا يستطيعُ أن يكتُبَ عن إبداع الشّبّاب، أو مَن يُجايلونه، وذلك وفق نصيحةٍ وتوجيهٍ من أساتذته الذين يُشرفون عليه في رسالته للدّكتوراة. لقد قالوا له إنَّ تجارب الشّباب غير مُكتملة، «وهل في الإبداع اكتمال؟»، وقالوا له إنَّ عليه أن يقرن اسمه بالكبار، وعندما يتحقّق ويصير معروفًا، و«له كلمة»، يستطيعُ أن يكتُبَ عن الشّباب.

وأخبرني صديقٌ آخرُ، مُبدعٌ شابٌّ، أنّه يرى في النّاقد مُبدِعًا فاشلًا في الأصل، ثم كتب ذلك في صفحته بالفيسبوك، وأيّده في ذلك كثيرون من الشّباب مُتّهمين النقّادَ بسوء النيّة، وأنّهم يرزحون تحت نير عُقدة النّقص. وهناك مواقف كثيرة وأمثلة غير محدودة عشتُ بعضها واقعًا، وتلمّستُ بعضها في تجارب آخرين، واستكنهتُ بعضها في خطاب المُبدعين والنّقّاد الشّباب والكبار، كلّها تقول لنا بوضوح علينا أن نتأمّل بجدّيّةٍ موقع النّقد في ثقافة النّاقد العربيّ والمُبدع العربيّ والقارئ العربيّ على السّواء.

ولأنّني معنيٌّ بعلاقة الشّباب المبدع العربيّ بالنّقد المُعاصر، أو حتّى تراثنا النّقدي، فقد أجملتُ ملامح هذه العلاقة في ثلاثة اتجاهات واضحة لدى كثير من الشّباب المُبدع.

الاتّجاه الأول: يرى في النّقد تَرَفًا ورفاهيةً، ويجبُ ألّا نأخذه على محمل الجِدّ، لا سيّما أنّه محكوم «بسوء النيّة» كما يزعمون.

الاتّجاه الثّاني: يرى الناقد بوصفه أحد تلامذة الإبداع الخائبين، حيث لم يُفلح في كتابة النّصوص الإبداعيّة، وانكفأ عليها مناكدةً وتعطيلًا لسحرها، مُداراةً لفشله في كتابة مثيلاتها.

الاتّجاه الثّالث: يبدو في الظّاهر مُحترمًا للنّقد ومُنفتحًا على طموحاته، لكن بمجرّد أن يتعارض ذلك النقد مع كتاباته أو توجّهه الإبداعيّ، فإنّه ينسحبُ إلى مُعسكر الاتّجاه الأول والثّاني. هذا النّوع من الكُتّاب يرى في النّاقد خادمًا لنصوص ليس أكثر من ذلك، وقد يظنّ أنَّ علاقة النّقد بالإبداع – والنّقد إبداع – هي علاقة تراتبيّة؛ بمعنى أنَّ النّقد لاحق للإبداع، وهو قول ثانٍ فائض عن حاجة القول الأوّل، لكن ما الذي أوصلنا إلى هذا المتاه؟

ربّما أقولُ إنَّ ثلاث كلمات أصبحت ثلاثةَ فِخاخٍ للنّاقد والمبدع والقارئ، هي: التّواصل الاجتماعيّ، والجوائز، والنّشر، وذلك في ما يخصّ الكُتّاب الشّباب، إذ أصبح القارئ مُستهدَفًا من منصّات التّواصل الاجتماعيّ بعددٍ من المؤثّرين بشكلٍ عامّ، والمؤثّرين أدبًا ونقدًا، بمعنى أنَّ هناك نجومًا في مجال النّقد ومجال الكتابة تُكرّس حضور بعضهم بالكتابة الجيّدة، والجوائز المُستحقّة، والنّشر اللائق، وتكرّس حضور البعض الآخر بكتابة رديئة، يروّجها نقدٌ مفضوح، وتخدمها جوائز مُؤطّرة ومؤدلجة.

في هذه الحالة يسعى النّقد المفضوح لأن يكون جزءًا من احتفالٍ عامٍّ بالكِتاب، وليس مناسبة جادّة لأن يُشكّلَ ذلك النّقد قضاياه وقضايا النّصّ مثار النّقاش. وأختلفُ كثيرًا مع مَن يعتقدون أنَّ المناهج الحداثيّة والنّظريّات الحديثة هي التي نقلت النّقد من مواجهة النّصّ إلى مجرّد الاحتفاء والتغنّي به، ومبعث اختلافي معهم هو أنَّ الاحتفاء بالنّصّ الجيّد، والإيغال في طبقاته الجماليّة تفسيرًا وتأويلًا وإشكالًا، هو عينه قمّة المواجهة للنّص القبيح.

وليس شرطًا أن يكون النّاقدُ حَكَمًا في القيمة الفنّيّة للنّصوص بطريقة مُباشرة ودوغمائيّة، تُدمن الوصاية على الكاتب والقارئ والنّصّ؛ لأنَّ النّقد يبني تصوّراته ويفرد جناحيه في منطقةٍ خضراءَ بينَ العلم والفنّ، فلا هو علم جافّ، ولا هو فنٌّ خالص، إنّما هو مزيجٌ يحلو للبعض أن يُسمّيه «الإبداع الموازي».

لقد أثّرت وسائل التّواصل الاجتماعيّ في علاقة الشّباب الأدباء بالنّقد تأثيرًا مزدوجًا، فقد توفّر لهم منصّةً للتعبير عن إبداعهم، والتواصل مع جمهورهم بشكل أسرع وأوسع، لكن في الوقت نفسه قد تتسبّب في تشتّت انتباههم وتقليل وقتهم

المُخصّص للكتابة؛ بسبب الانشغال بالتفاعلات الاجتماعيّة والتّحدّيات المُتعلّقة بالانتشار والشهرة عبر الشبكات الاجتماعيّة، وبالتالي تعاليهم على أيّ نقدٍ، في الوقت الذي قد يمرضُ فيه النّقد نفسه بفعل وسائل التّواصل الاجتماعيّ، إذ يمكن أن يوفّر التواصل الاجتماعيّ منصّةً للنّقّاد لطرح الآراء والتحليلات بشكل أسرع وأكثر فعاليّة، وزيادة الوعي بالأعمال الأدبيّة الجديدة، ومع ذلك قد يؤدّي الطابع السّريع والسّطحيّ للتفاعل على وسائل التواصل الاجتماعيّ إلى تقليل عمق وتحليل النقد الأدبيّ، وانجراره إلى دوّامات من العراك اليوميّ العابر.

أمّا الجوائز فهي تُعزّز الاعتراف بالكُتّاب الشّباب، وتُشجّعهم على مواصلة الكتابة، بالإضافة إلى ذلك، تزيد الجوائز من فرص نشر أعمالهم وتقديمها للقُرّاء بشكل أوسع، كما تساهم في بناء سمعتهم وزيادة حظوتهم لدى الناشر والقارئ. ومع ذلك يمكن أن يؤدّي التركيز الزائد على الجوائز إلى تشتّت انتباه الكُتّاب، والتركيز فقط على النتيجة بدلاً من عمليّة الكتابة ذاتها، وهذا قد يؤثّر سلبًا على جودة الأعمال الأدبية التي ينتجونها. وقد يُشكّلُ الحصول على جائزةٍ كبيرةٍ حاجزًا من فولاذ لمَنْ يودّ أن يتصدّى للعمل الفائز بنقدٍ مُغاير، هُنا تتحوّل الجائزة إلى «سُلطة» مُحتكِرةٍ للنّصّ، لكنّ ذلك يتوقّف على إمكانات ومواهب النّاقد المعنيّ بالنّص.

ويجب ألّا ننسى أنّ هناك جوائزَ في النقد الأدبيّ نفسه، ومن ثمّ فهو مُهدّد - إن كان ثمّة تهديد - كالنّصّ الإبداعيّ. أمّا في مسألة النّشر، فقد يدفع طُغيان نشر نوع أدبيّ على أنواع أخرى، إلى انصراف النقّاد عن تلك الأنواع لصالح النّوع الأكثر رواجًا وقراءةً، وبالتالي تتعالى صيحات الشّباب التي نسمعها ليل نهار قائلة: «أين النقد الأدبيّ من المشهد الإبداعيّ؟».

كلّ هذه المتاهات جعلت موقف الشّباب سلبيًا من النّقد الأدبيّ، خصوصًا أنّنا أبناء ثقافة لا تُقيم وزنًا كبيرًا للتّفكير النّقديّ الخلّاق؛ بحكم عوامل متشابكة، ولا تعرف دور المُحرّر الأدبيّ مثلًا، إذ ينظر الكاتب إلى نصّه نظرة تقديس.

من هُنا ظهرت فكرة مُخيفة، يطرحها الشّباب كثيرًا عبر وسائل التّواصل الاجتماعيّ كلّما اختلفوا في ما بينهم حول نصّ أدبيّ أو استحقاق كاتب مثلاً لجائزة عن آخرين متقدّمين لها، يقولون: إنّه لا مجال للخلاف؛ لأنّ الأمر مردّه في النّهاية إلى الذّائقة، لكن ما يُدريك لو أنّنا ظلمنا هذه الذّائقة، قولبناها، وقصصنا جناحيها؛ لتمشيَ دائمًا حذونا، لا أن تطير! لا أن تستفزّ الثابتَ فينا! نقول بعجرفةٍ تليق بإنسانٍ ما زال يقتنص النّار من بين حجرين: «هذه ذائقتي وأنا حُرّ!».

يسقط أمام هذه الجُملة كلّ رأي آخر؛ لأنّها ليست مبنيّةً على فهم رصين لكيف تتشكّل الذّائقة، وكيف تعمل في النّصوص، وكيف تتثاقف مع الذّائقات الأخرى، بل كيف تناقش الذائقة النقيض في المُعطى الجماليّ الذي تتبنّاه، وهل هذه هي الذائقة الحقيقيّة أم ذائقة الجماعة قسرًا؟ كأنّ جملة «هذه ذائقتي» هي السّتارُ الذي يُسدَلُ على مشهد مصنوع لمسرحيّة النّقد الأدبيّ، من هُنا تصيرُ الذائقةُ وحشًا، يحبسُ صاحبه في زنزانةٍ مُنفردًا، زنزانته بكوّة تُطلّ على النّور، لكنّه لا يدخلها!

ربّما ساهمت في ذلك خلايا من النّقاد يخرجون على النّصوص، دمهم يغلي بالنظريّات والمناهج، وحناجرهم مسقوفة بالمصطلحات، بينما أفئدتهم هواء. وكُتّابٌ شبابٌ تتعاظم أنواتهم بالمديح القائم صبحاً ومساءً عبر وسائل التّواصل الاجتماعيّ، ويُخرجون ألسنتهم للناقد (المبدع الفاشل)، لكنّنا نذكّرهم بقول الناقد إيهاب حسن في كتابه (نار بروميثيوس) الذي ترجمه إلى العربيّة الكاتب والمترجم المصريّ السيّد إمام، يقول: «لقد نشأت كلاسيكيّاتُ النقد، كما تشير الحقيقة البدهيّة في أغلب الأحوال بواسطة الشعراء: سيدني، درايدن، بوب، وردزورث، كولردج، شيلي، بو، وإليوت... هذا إذا اقتصرنا على ذكر الكتابة باللغة الإنجليزية وحدها».

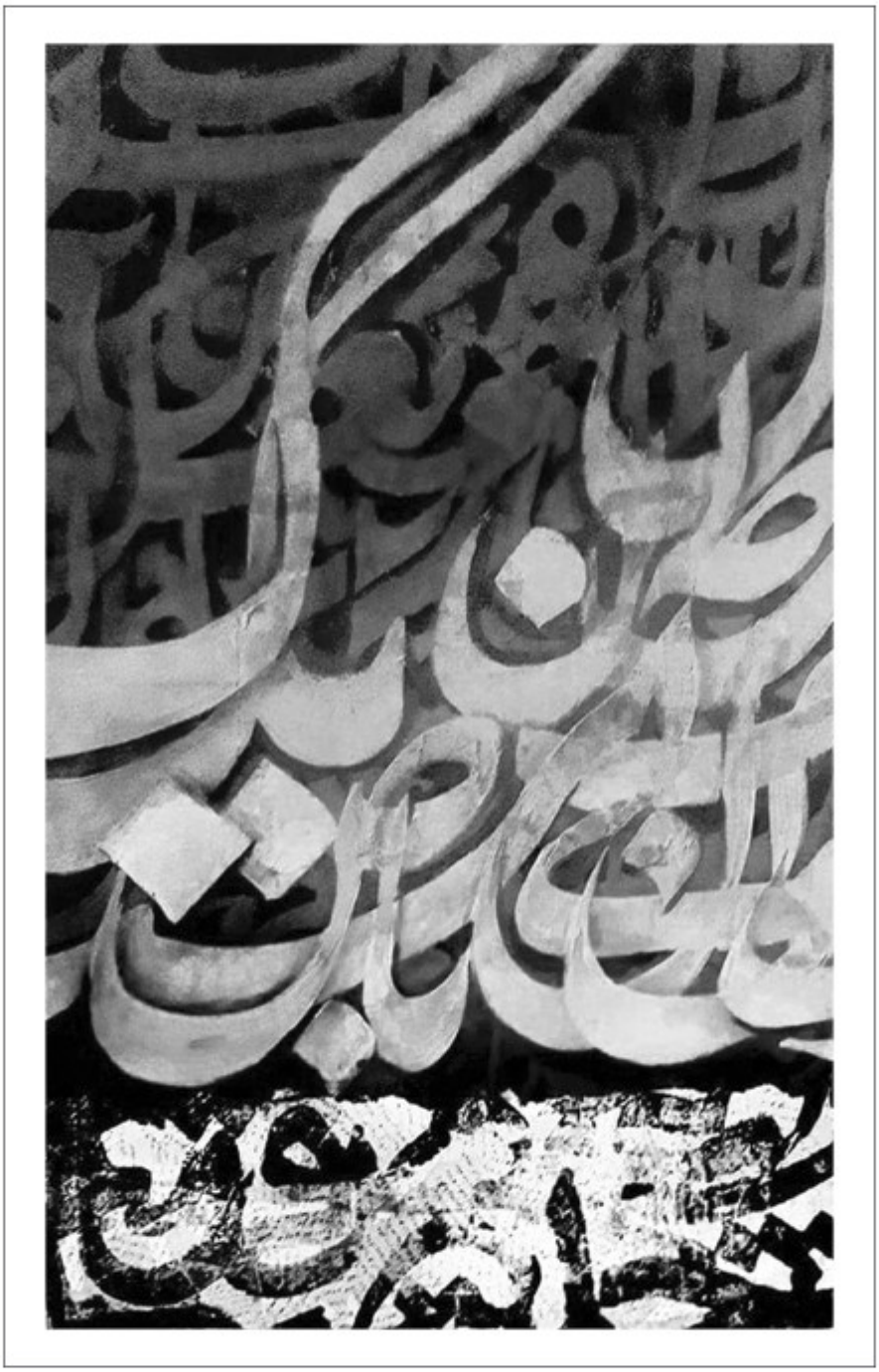

حروفية الفنان عدنان بشير

لوحة الفنان بشارة النجار/ الأردن

نقوش

شواهدُ على تاريخِ عمّان

ديما الرجبي

لوحة الفنان بيتر لورنس/ المملكة المتحدة

شواهدُ على تاريخِ عمّان

ديما الرجبي

عند الحديث عن العاصمة الأردنيّة عمّان، وبيوتاتها القديمة، والتاريخ الذي ما زال يزهو كالياسمين العمّانيّ في كلّ فصلٍ ربيعيّ، هنا يجب أن نوجّه الحديث لأولئك الذين غادروا الزّمن الجميل مصافحين الاغتراب، مودّعين الحبيبة عمّان، مغادرين مطار الملكة علياء الدّوليّ، أولئك القابضون على حبّ هذا الوطن، الذين يوقدون نار ذاكرتهم كلّما شبحت أرواحهم ببرودة الغربة؛ لتطمئنَّ قلوبهم بذاكرةٍ ترسم ابتسامة الحنين إلى وسط البلد والحارات القديمة، والأشجار التي كانوا يستظلّون بظلّها، ويلعبون (الجلول) كما كانت تسمّى في حينها، وهي كرات زجاجيّة صغيرة مُلوّنة، يجمعها الأطفال للعب بها، و(الحجلة) للفتيات اللاتي يتقافزنَ على مربّعات مرسومة على نواصي وطرقات عمّان القديمة، وكلّ ذلك في وقت كانت البيوتُ، بيوت الياسمين، شاهدةً عليها.

الياسمين العمّاني بألوانه المختلفة هو النبض والروح لتلك الأبنية القديمة، التي حُوّلت اليوم إلى مطاعمَ ومقاهٍ، وما زالت تحتفظ بعبيرها وألقها وجسدها الذي هَرِمَ في العاصمة الحبيبة عمّان.

تمتدّ عمّان القديمة من وسط البلد إلى منطقة الدوار الرابع، حيث كان آخر مبنى في عمّان هو وزارة الإعلام، وما بعد الدوار الرابع كانت الشوارعُ التي ترونها اليومَ عبارةً عن بيادر قمح وأرضٍ تُزرع بالحبوب والقثاء، فقبل أن تصبح عمّانُ مُحتشِدةً بالإسكانات الإسمنتيّة والشوارع الإسفلتيّة، كان العمّانيّون يمتدّون بالبناء بشكلٍ أفقيّ، وكانت تشتهر العاصمة بالبيوت وليس بالشقق، وهذا ما كان يُضفي عليها جمالاً وأصالةً لا ننساها، بحيث لو ذهبتم إلى منطقة جبل عمّان، أو منطقة جبل الحسين، أو اللويبدة، أو رأس العين في وسط البلد، سترون أنَّ تلك المناطق والبيوتات القديمة مسكونة بروح الياسمين العمّاني وممتلئة بالحكايات القديمة.

وحتى فنجان القهوة الذي كانت الجارات في الزّمن الجميل يشربنَهُ في الحديقة أو عند النافورة، وأولاد الحارة يلعبون حولهن (كومستير)، وهي لعبة الاختباء، حيث يختبئ الطفل وتبحث عنه مجموعةٌ من أصدقائه حتى يجدوه، ويطلقوا كلمة (كومستير)؛ أي وجدته، ويتنصّتون على حديثهن الذي ما زال شاهداً على رائحة هذه البيوت القديمة.

لكنَّ الحياة بتطلّباتها العصريّة، أخذت على عاتقها أن يكبر أولاد الحارة، وينسون تاريخ هذه الأماكن، فما عادت أشجار التوت والجوز وجهةً لهم ليغزوها ويغتنموا من طيّباتها، وكبُرَت عمان وأصبحت معولمة البناء، ولم يَعُدْ هنالك متّسعٌ لردّ السّلام على الجار، ولم نَعُدْ نجرؤ على استقراض رغيف خبزٍ أو قليلٍ من الزيت من أحد الجيران، ربما لأنّنا لا نعرف ما اسم جارنا؟

منطقة وسط البلد في العاصمة الحبيبة عمّان من المناطق التي تُحيي الأصالة في عروق العابرين منها أو الساكنين فيها، فما زالت تحتفظ بإرث كبير من البيوت التي تشهد على حقبة زمنيّة طويلة، وأيضاً على حجم التطوّر العمرانيّ، وتبادل الخبرات والثقافات، بل إنَّ تاريخ هذه الأماكن يشهد على التوأمة ويقدّسها، ويلفظ الحدود المُفترضة بين الأردن وفلسطين وسوريا، فبعض أحجار بيوت عمّان إما من دمشق أو من نابلس، فما فرّقته الاتفاقيّات وحّدته بيوتات عمان في صفّ الحجارة.

تشتهر هذه البيوت بأسماء العائلات لا الشخوص، كبيت البلبيسي، ومانجو، ومرعي، والقسوس، وغيرهم، وهذا دليلٌ على الألفة والتعاضد الأسريّ الأردنيّ الجميل، حتى إنَّ براءة أطفال الحارة كانت تقودهم كي يعتقدوا أنَّ كلَّ سكّان الحيّ من أقربائهم.

وما ترونه اليوم في تلك البيوتات التي تحوّلت إلى مقاهٍ ومطاعمَ تجذب العديد من السّيّاح والمحلّيّين إليها، هي ذاتها التي كانت تكسوها الخضرة، فكانت كلّ أسرة تزرع في حديقة بيتها ما تشاء من الأشجار المُثمرة، وتكون الضيافة من خيرات تلك الأشجار.

وبعد أن قامت أمانة عمان الكبرى بإحياء بعض البيوت، واستغلالها كمطاعم أو مقاهٍ، أصبح من المهمّ أن يتعرّف السّائحُ على تاريخها، وأن يرى المغترب الأردنيّ كيف أصبحت شوارع عمّان وبيوتاتها وحاراتها، التي طالما كانت أجمل ذكرياته.

بدأت أمانة عمّان مشروع التطوير المعماريّ من (الدواوير)، وهي عبارة عن معالم حضاريّة موجودة امتداداً للتطوّر العمرانيّ، ولكلّ دوّار خصوصيّة، سواء من حيث المساحة أو طبيعة المعالجة، وعندما بدأ التطوير العمرانيّ لتلك المناطق القديمة، أخذ بعين الاعتبار أنَّ تغيير اسم الدواوير للعمّانيّين يجب أن يحمل تاريخاً، فأُطلق على الدوّار الأول اسم «ميدان الملك عبد الله الأول المؤسّس»، حيث إنَّ الدوار الأول كان أول مشاريع أمانة عمان لتطوير العاصمة، فبعد أن كان حديقةً أصبح من أهمّ الدواوير في العاصمة، لذلك قامت أمانة عمّان بعدّة دراسات للحفاظ على البيئة التراثيّة، بالإضافة إلى دراسات حضاريّة شملت الدوار الأول إلى الخامس.

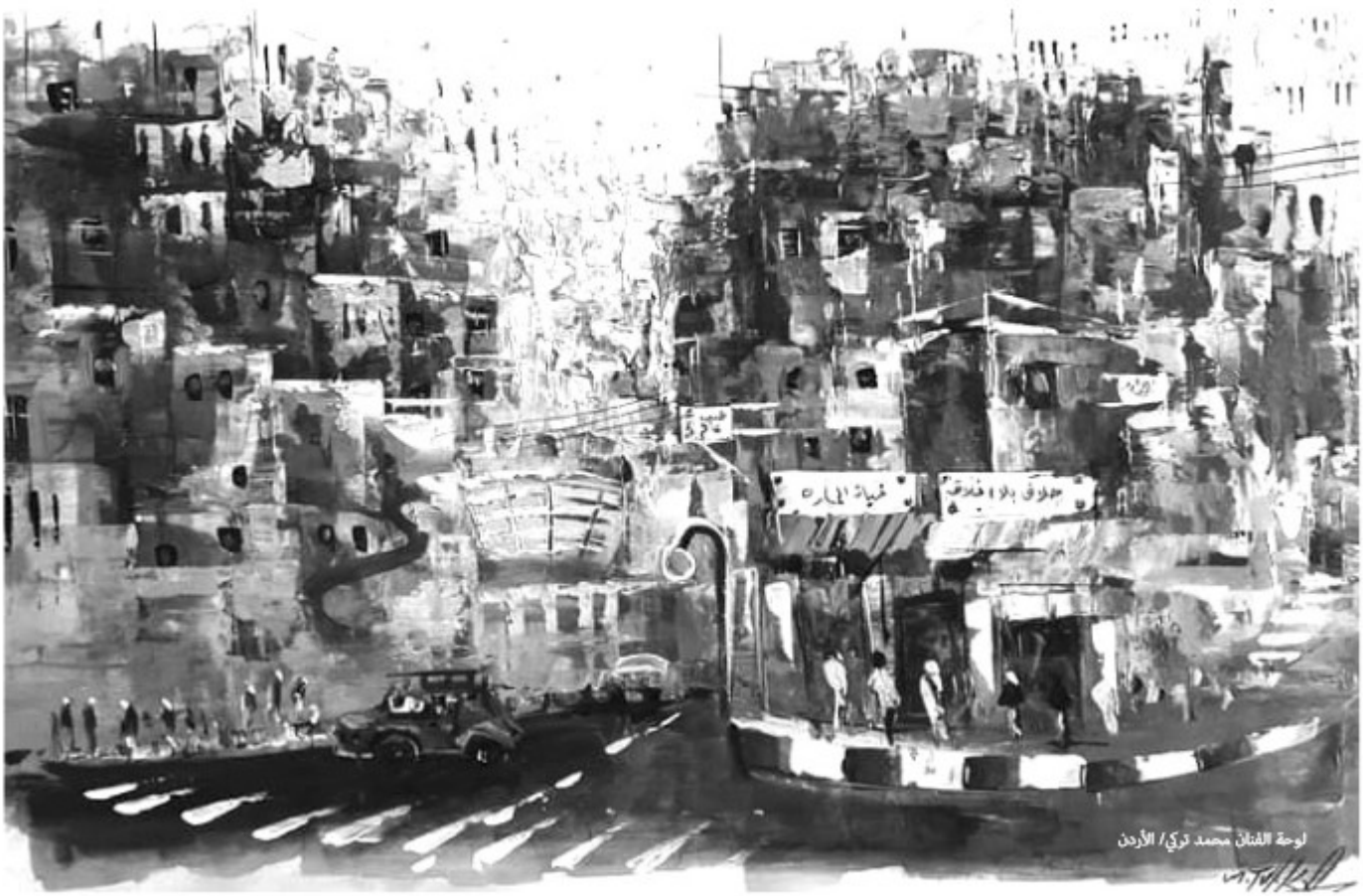

لوحة الفنان محمد تركي/ الأردن

كان لتوالي الهجرات إلى عمّان أثر في ازدياد حاجة السّكّان للمياه، وتلك الفترة تعود إلى ما بعد تأسيس إمارة شرق الأردن والحروب في الدول الأخرى، ومن هنا جاء دور الحاووز، وهو الحوض أو الخزّان الذي يُجمع فيه الماء، وقد أخذ أشكالاً متعدّدةً، منها الدائريّ، ومنها المكعّب في مناطق مرتفعة من جبال عمّان، وكان حاووز جبل عمان الثاني بعد حاووز نبع رأس العين، وسُمّي في حينها «دوّار الحاووز»، وكان موقعه في جبل اللويبدة، وما زال الاسمُ متعارفاً عليه عند معظم مَن عرف اللويبدة قديماً؛ نظراً لتواجد ذلك الخزّان أو برج المياه في وسطه، وتوزيعه الماء لكافة المناطق.

في عام 2003 قامت السفارة الفرنسيّة بتقديم منحة ضمن إطار معاهدة الصّداقة والتعاون الموقّعة بين بلديتي عمان وباريس عام 1987؛ لإعادة إحياء الدّوّار كمساحة تجمع أهالي المنطقة، ولقرب المعهد الثّقافيّ الفرنسيّ منه، حيث يُعَدّ أقدم معهد ثقافيّ أوروبيّ في الأردن، حينها بدأت أمانة عمّان الكبرى بإعداد التصاميم والمُخطّطات بالتعاون مع السّفارة الفرنسيّة، منذ ذلك الوقت وحتى الافتتاح في حزيران 2004.

بدأ التّطوّر العمرانيّ في ثلاثينيّات القرن العشرين، بدءًا بمضخّات المياه المُعتمَدة في عمّان والشّوارع الرئيسيّة، مثل شارع 9 شعبان وشارع الرينبو، جميعها كانت متّصلة في منطقة المدينة القديمة، أمّا البيوتات التي ما زال تاريخها شاهداً عليها، نستعرض بعض الأسماء التي ما زالت حاضرةً في ذاكرة العمّانيّين القدامى، مثل (بيت الدوق) أو (ديوان الدوق)، وهو مبنى تاريخيّ يقع في وسط البلد القديم لمدينة عمّان، يُعَدّ أحد أقدم الأبنية المُحافَظ عليها في تاريخ المدينة المعاصر، حيث تمّ بناؤه عام 1924، وهو اليوم مكان يجمع المواهب من مختلف الفنون، كالموسيقى والرّسم والمسرح والشّعر، كما تُعقَدُ بين الحين والآخر داخل الديوان ندواتٌ حول تاريخ مدينة عمّان.

مدينة عمّان/ الأردن

لوحة الفنان سلام كنعان/ الأردن

في عام 1924 قام أحد أعيان عمّان، وهو عبد الرحمن باشا ماضي، ببناء هذا المبنى الواقع في شارع الملك فيصل بجانب البنك العربيّ، وقد تمّ استئجاره من قبل البريد المركزيّ لحكومة إمارة شرق الأردن حتى نهاية الأربعينيّات من القرن العشرين، وقد تحوّل المبنى إلى فندق بعد النكبة عام 1948، عُرِفَ باسم فندق حيفا.

وفي عام 2001 استأجر ممدوح بشارات، المعروف باسم «دوق المخيبة»، هذا المبنى الذي أراد له أن يكون أنموذجاً في الحفاظ على الهُويّة المعماريّة لعمّان، وهو اليوم أحد مراكز الثقافة في المدينة.

ليس من قبيل المبالغة القول: «أينما ذهبتَ في عمّان ستجد معلماً تراثيّاً». فكلّ زائرٍ لأرض عمّان من أقصاها إلى أقصاها في الاتجاهات الأربعة، لا بدّ أن يلمح القلاع والحصون، والبيوت الأثرية والمساجد، التي إن لم تكن في كلّ منطقة، فإنّها حتماً تتواجد في كثيرٍ من المحافظات؛ لتُشكّلَ أحد رموز الحضارة العمّانيّة القديمة.

البيوت الأثريّة في عمّان لها دور لا يقلّ شأناً وأهمّيّةً عن القلاع والحصون، وجاءت بإبداع هندسيّ، ونقوش وزخارف على الجدران والأسوار، والأبواب والنوافذ، وتتكوّن غالبية هذه الأبنية القديمة من ثلاثة مستويات، هي الدور الأرضيّ، والأول، والسّطوح، وأحياناً تحتوي السّطوح على غرف صغيرة للاستجمام والراحة في فصل الصيف.

يرتبط تاريخ غالبيّة بيوت عمّان القديمة بالدولة الأردنيّة المعاصرة، والتّحوّلات السّياسيّة والاجتماعيّة المختلفة التي شهدتها، ففي جبلِ عمّانَ المنزلُ الذي وُلِدَ فيه جلالة الملك الراحل الحسين بن طلال، وبيوت أهمّ رؤساء الوزراء في تاريخ الأردن، كذلك فإنَّ معظم تلك البيوت عائدة لعائلات كان لها دور سياسيّ واجتماعيّ واقتصاديّ كبير، وهي عائلات مهاجرة من خارج المدينة، كعائلتي البشارات وأبو جابر السلطيّتين، وعائلتي منكو وجردانه النابلسيتين، وعائلة شقير الدمشقيّة، وعائلة البلبيسي المصريّة، والبعلبكي اللبنانيّة، عدا عن عشائر الشركس القوقازيّة، التي أسّست أول حيّ

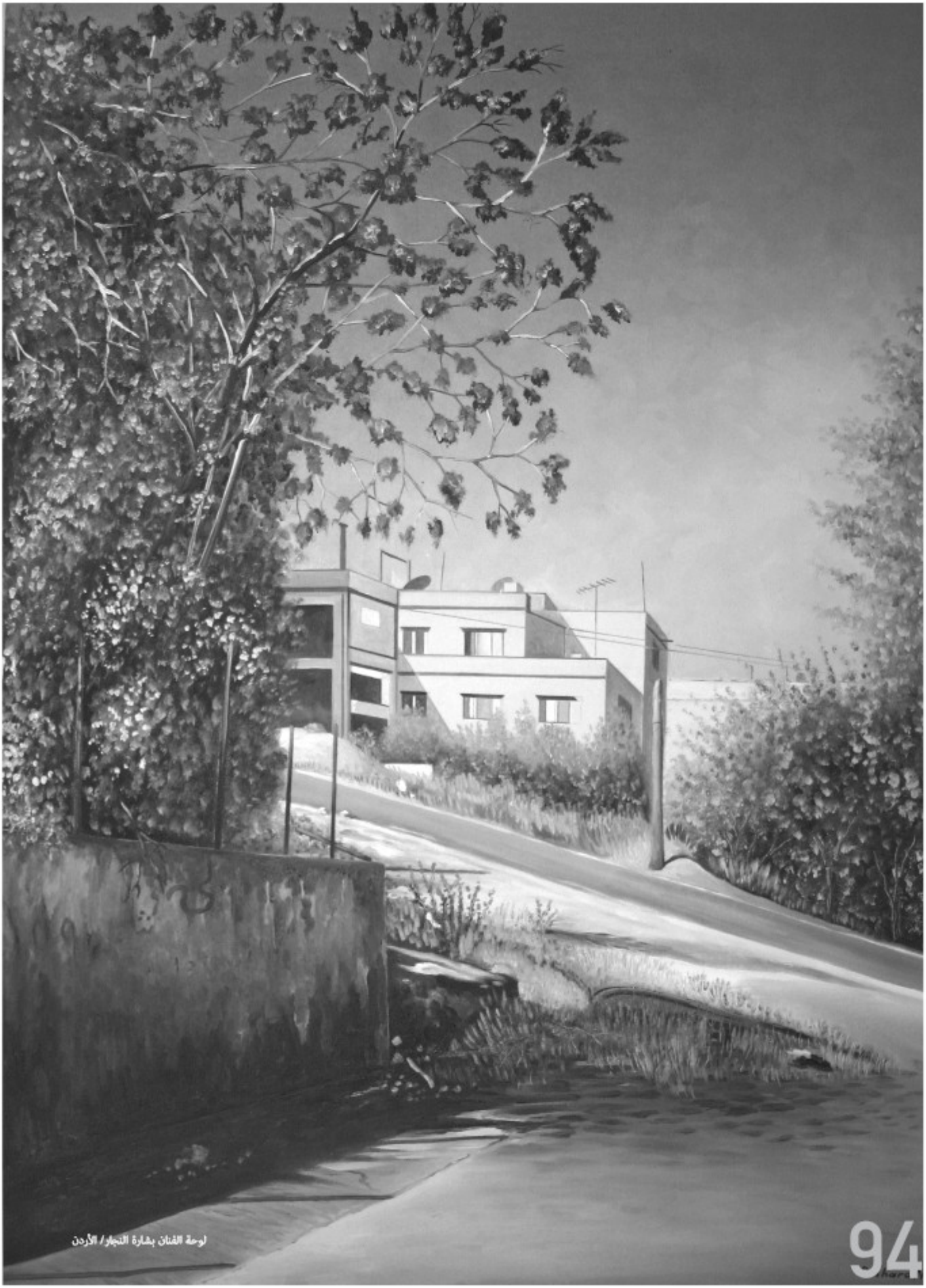

لوحة الفنان بشارة النجار/ الأردن

لوحة الفنانة رهام الغصيب/ الأردن

في عمّان نهايات القرن الثامن عشر، وهو حيّ المهاجرين المطلّ على رأس العين، وغيرها من العائلات والعشائر التي عاشت بمحبّةٍ وألفةٍ، وساهمت في تأسيس الأردن الحديث بفسيفسائيّته العرقيّة والدّينيّة والثقافيّة الفريدة.

لا أملك أن أقول إلا أن عمان الحبيبة كما نذكرها أو كما أمست هي ذاتها التي شاركتنا أجمل وأنقى لحظات الطفولة وربما المراهقة واحتضنت قسوتنا عندما كنا نهمل الحفاظ عليها فأبت إلا أن تحفظنا هي...

هي عمان التي كنا نكتب أسمائنا على جدرانها بالطبشورة والآن تُزين الجدران بريشة جيل جديد يحتفي بالماضي دون أن يعيشه ولكنه يستشعر بأن هنا على هذه الطرقات كانوا أجدادنا ينفثون بدخان سجائرهم وهم يستعدون لبدء صباحٍ عماني قديم ...

من يقرأ هذا التقرير عن عمان القديمة يعبر بمحطاتٍ جميلة فالعاصمة عمان هي الأقدر على منحنا هذا المزيج

المدرج الروماني - عمّان/ الأردن

من المشاعر والذي يؤكد لنا بأن عمان الحضارة والتاريخ وإن أصبحت سماؤها براقةً بأضوية العولمة فنحن نعلم بأنها الأم التي لا تتبدل أحوالها عن أبنائها ...

لوحة الفنان محمد تركي/ الأردن

للفنان سليم تادرس/ الأردن

للفنان شادي غوانمة/ الأردن

صوت الجيل 24

العدد 24 من الإصدار الجديد 2024
مجلة أهلية بالإبداع الشبابي تصدرها وزارة الثقافة الأردنية

وزارة الثقافة

مطبعة المركز الجرافي
الأردنية للصناعات الفنية